

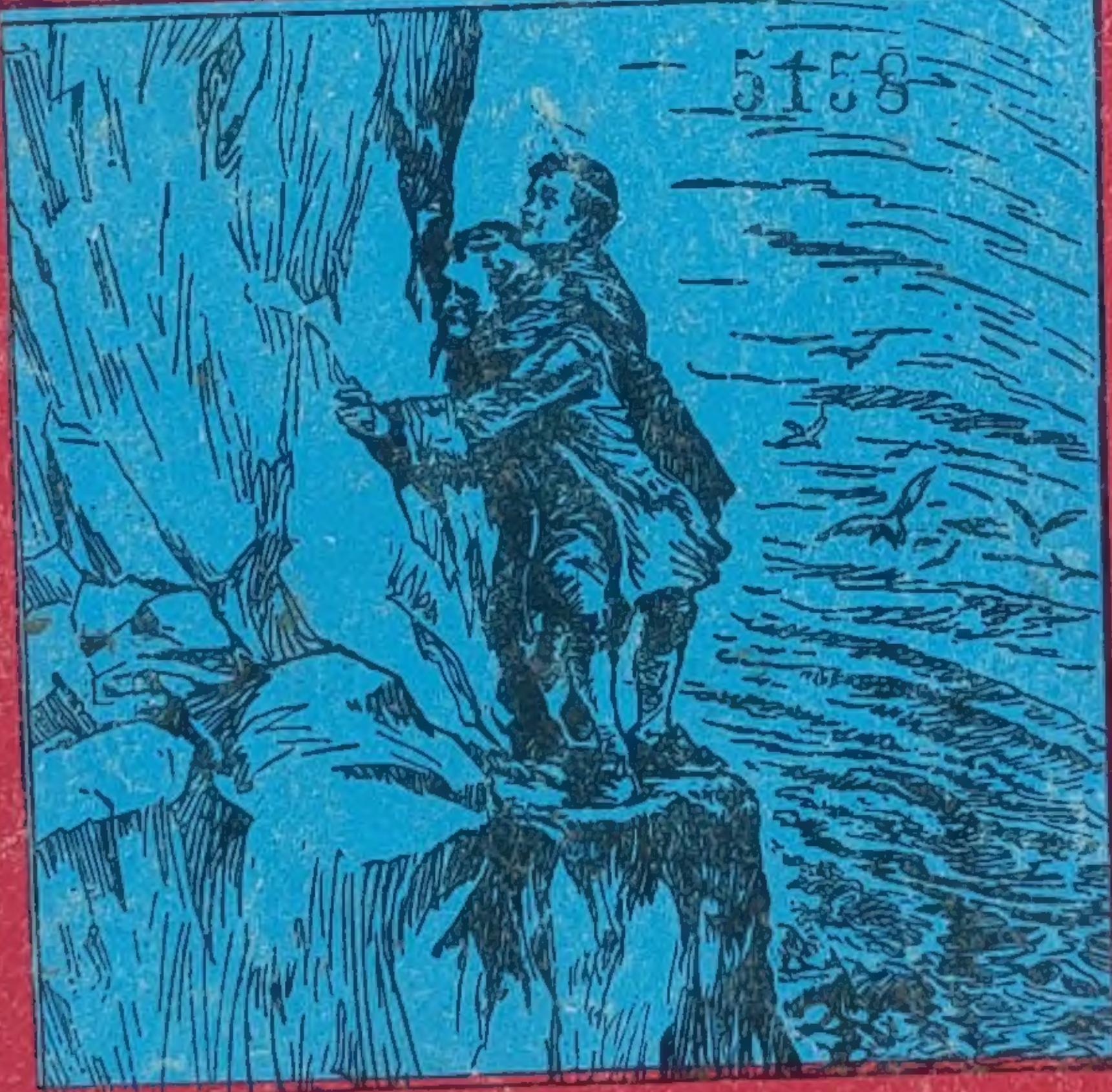
روايات الأدب العالمي للناشئين

مورن فاليت

تأليف: هيج · هيد فوكنر

مراجعة: مختار السويفي

— ٥٤٥ —



مونفلیت

مون فاليت

الطبعة الثانية

تأليف: ج. ميدفوكنر
ترجمة: مختار السويفي
مراجعة: صبرى الفضل



مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأدب العالمي للناشئين)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ: هيئة الكتاب

مون فليت

تأليف: ج. ميدفوكنر

ترجمة: مختار السويفي

مراجعة: صبرى الفضل

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان: محمود الهندي

المشرف العام:

د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة»، تلك الصيحة التي أطلقها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك»، في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة»، والذي فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والإبداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافي الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت في سنواتها الست السابقة ١٧٠٠، عنواناً في حوالي ٣٠٠ مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى ٣٠٠ ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبادر بإصدار موسوعة «مصر القديمة»، للعلامة الاثري الكبير «سليم حسن»، في ١٦٠ جزءاً إلى جانب السلسل الراسخة «الإبداعية والفكرية والعلمية والروائية وأمهات الكتب والدينية والشباب»، لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذي تقدره السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

الفصل الأول

قرية مومن فليت

تقع قرية مومن فليت على الضفة الغربية لنهر « فليت » وعلى مسافة نحو نصف ميل من شاطئ البحر . ويضيق جري هذا النهر حين يمر بمنطقة القرية ، وما أن يبتعد الجري خلف القرية حتى يتبع شاطئه ويصبح أشبه ما يكون ببحيرة واسعة .

في طفولتي .. كنت أظن أن القرية قد سميت بهذا الاسم « مومن فليت » لأن القمر يتلا لا نوره على سطح هذه البحيرة المجاورة ، ولكنني علمت فيما بعد أن الاسم الحقيقي لهذه القرية هو « مومن فليت » ،

وقد تعرف هذا الاسم فيما بعد الى « مومن فليت »
بعروض الزمن ..

اما كلمة « مومن » فهي اسم لعائلة كبيرة كانت
تحكم فيما مضى هذا الاقليم من البلاد الذى تقع فيه
القرية ..

اسمى « جون ترشارد » .. وكان عمرى خمسة
عشر عاما حين بدأت هذه القصة .. و كنت يتيم
الأبوين ولذلك فقد كنت أعيش مع خالتى « مس آرنولد »

وقد بدأت احداث هذه القصة فى شتاء عام
١٧٥٧ .. حين كنت أقرأ قصة « علاء الدين والمصباح
السعري » وكيف أغلق عليه الساحر باب كهف عميق
بداخل الأرض ، لأن علاء الدين رفض أن يعطيه
المصباح ..

وقد جعلتني قراءة هذه القصة افكر في الكوابيس
والاحلام المزعجة حين نرى انفسنا وقد انحبسنا داخل



قرية مون غليبت ..

حجرة ضيقة مغلقة ، ونرى جدران هذه الحجرة تضيق علينا حتى تكاد تخمد أنفاسنا . . لذاك فقد توقفت عن القراءة وخرجت الى الشارع .

كانت الشمس قد غربت منذ قليل ومع ذلك فلم تكن السماء مظلمة . . وكان كل شيء هائلا تماما ، عدا صوت رتيب كان يصدر من احد البيوت : تاب . . تاب . . تاب . . تاب !

كان الصوت يخرج من بيت « راتسي » ، حفار القبور . . ويبدو انه كان يحفر اسم احد الموقى على الشاهد الحجري الذى سيوضع فوق قبره .

توجهت نحو بيت « راتسي » ونظرت خلال الباب المفتوح . . وما ان شاهدته « زاتسي » حتى قال :

ـ اهلا يا جون . . تعال ساعدنى واحمل لمى المصباح !

كان « راتسي » يحفر نقشنا يصوّر سفينتين صغيرتين . . وكان رجال كل سفينة يحاربون رجال

السفينة الأخرى . . وتحت هاتين السفينتين كتبت
الكلمات التالية :

« دافيد بلوك »

عمره : ١٥ سنة . . قتل بطلاقة نارية

أطلقها السفينة « الكتو »

في ٢١ يونيو ١٧٥٧

وكان « دافيد » المسكين هذا حديث جميع أهالي القرية . . وهو الابن الوحيد لـ « الزفير بلوك » صاحب حانة « هوائي نوت » . .

في ذلك الزمان ، كان على التجار الذين يسقرون دون أي نوع من البضائع إلى إنجلترا ، أن يدفعوا ضرائب باهظة لخزانة الملك . ولذلك فقد ظهرت مجموعة من

« المهربيين » ، الذين كانوا يتمكنون من ادخال الكثير من البضائع الى البلاد دون ان يدفعوا الضرائب المفروضة وكان هؤلاء المهربيون يقتربون بسفنهما الى بعض الشواطئ الخالية حيث لا يراهم أحد ، ويقومون بانزال ما يحملونه من صناديق وبراميل الى البر .

واضطر الملك الى تكوين مجموعة من « رجال الضرائب » ل تقوم بمعاشه هؤلاء المهربيين والقبض عليهم .

وكان « الزفير » واحدا من هؤلاء المهربيين .. وكانت احدى السفينتين اللتين يحفر « راتسي » صورتهما على شاهد القبر ، تابعة « لرجال الضرائب » بينما كانت السفينة الأخرى تابعة « للمهربيين » .

ويقال ان « المستر ماسكيو » ، الذي يملك اراضي واسعة قرب « مون فليت » ، هو الذى ابلغ رجال الضرائب بالخطط التى يديرها المهربيون .. وانه كان على ظهر سفينة رجال الضرائب حين قتل « دافيد » .

**قال راتسي وهو ينظر الى السفينتين والكلمات
التي نقشها على شاهد القبر الذي كان يعمل فيه :**

- انه أمر سبيء أن يقتل غلام في مثل هذه السن . . . وهم يقولون ان المهربين الثلاثة الذين تم القبض عليهم سيعذبون شنقا . . . على أية حال ففي يوم الاثنين القادم ساقدوم بتلويين السفن وأعلامها باللونين الأحمر والأسود . . . أما الآن فهيا نذهب معا الى حانة « هواى نوت » . . . ان « الزفير » في حزن شديد . . . تعال نتحدث اليه ونواسيه ! . . .

وكنت على يقين من أن خالتى ستغضب اذا علمت
بأنى ذهبت الى حانة « هواى نوت » . . . ومع ذلك فقد
ذهبت .

ولم يكن « هواى نوت » هو الاسم الحقيقي لهذه
الحانة . . . فقد كان اسمها فى الأصل « حانة الموهون »
نسبة الى عائلة « الموهون »، التى كانت تتخذ حرف
« الواى » الانجليزى « Y » شعارا لها . ومازال هذا

الشعار موجودا على بباب الحانة .. ولذلك فقد سماها الناس حانة « واى » .. ثم تحرف هذا الاسم الى « حانة هواى » .. ثم الى « هواى نوت » .

فتح « راتسى » بباب الحانة ودخل الى الداخل ودخلت وراءه الى القاعة الرئيسية بالحانة ، وكانت عبارة عن حجرة واسعة رصت المقاعد بجوار جدرانها ووضعت منضدةتان في المنتصف .. وفي اقصى طرف القاعة كانت هناك مدفأة تتأرجح فيها النار .. وكان الضوء المنبعث من هذه النار هو مصدر النور الوحيد في تلك القاعة .

وبالقرب من هذه المدفأة ، جلس « الزفير » حزينا وهو يتأمل شعاعات اللهب وهي تترافق فوق الحطب المشتعل ..

كان « الزفير » رجلا قويا ضخم الجسم .. وقليلون هم الذين يعرفون عنه شيئا .. وكان اغلبية الناس يندهشون لاصراره على ادارة وتشغيل هذه

الحانة التي تدر عليه ربيحا قليلا ، مع انه غنى ويملك
الكثير من الأموال وليس في حاجة الى هذا المربي
القليل .

ونظر الى « المزفير » في غضب وقال مخاطبا
« راتسي » :

ـ لماذا أحضرت هذا الطفل الى هنا ؟ !

قال « راتسي » بهدوء وثقة :

ـ « جون » ليس طفلا .. انه في عمر ابتك
دافيد .. لقد ساعدني في انهاء النقش على الشاهد
الذى سنضعه على قبر دافيد ..

قال « المزفير » بصوت حزين متوعد :

ـ نعم .. سيرقد « دافيد » في سلام .. أما
الذين قتلواه فلن يعرفوا السلام أبدا !!

وحسب علمي كنت اعرف انه يقصد « مستر
ماسكيو » بهذا التهديد ..

وجلس « راتسى » بجوار « الزفير » .. وأخذ الاثنان يتحدثان معا فى بعض الشئون .. وبعد مرور بعض الوقت ، نظر « الزفير » نحوى وقال :

— لقد حان الوقت لتنصرف أياها الغلام .. ان « ذا اللحية السوداء » يتجلو فى المساء .. ولا اعتقاد أنك تريد ان تقابله !

كان « ذا اللحية السوداء » هذا أحد أفراد عائلة « موهون » وقد مات منذ زمن ودفنت جثته فى قبر تحت الأرض التابعة للكنيسة .. ولكن يقال انه لم يكن مستقريحا فى قبره لأنه فقد جواهرة ضخمة قبل أن يموت ويخرج شبحه من القبر كل مساء ليواصل البحث عن هذه الجوهرة .. ولذلك فقد كان الناس يخشوناقرابة من الكنيسة بعد غروب الشمس خوفا من رؤية أو مقابلة « ذى اللحية السوداء » . ويقال ان « كراكي جونس » الذى عثر عليه مقتولا ذات صباح

قد عات بعد أن تقابل مع « ذى اللحية السوداء » في
الليل .

والاسم الحقيقي لـ « ذى اللحية السوداء » هو « جون موهون » وكان يعمل مأموراً للسجن الذي سجن
فيه « الملك شارل الأول » (١) بعد هزيمته . وكان الملك
يتزين بجوهرة ثمينة عبارة عن قطعة خصمة من الماس
وعرض « جون موهون » على الملك السجين أن يساعدته
في الهرب من السجن إذا أعطاها هذه الماسة . وقبل
الملك هذا العرض وأعطى الماسة « لجون موهون » ..

وما أن شرع الملك في الهرب من السجن حتى لحق
به « جون موهون » وقبض عليه وأعاده إلى السجن
مرة أخرى .. ولكن هذه القصة المخادعة قد اكتشفت
وصدر أمر بالقبض على « جون موهون » وأودع

(١) الملك شارل الأول كان ملكاً سيئاً على إنجلترا ،
وقامت ضدّه ثورة عارمة ، وقبضوا عليه وسجّنوه ثم أعدمّوه .

السجن . . ولكته استطاع المهرب ، وقام باختفاء الجوهرة الثمينة في مكان ما . .

ويقول الناس انه لم يستطع أن يعثر على هذه الجوهرة بعد ذلك . . ويقول، آخرون انه لم يستطع الوصول إلى المكان الذي أخفى فيه الجوهرة . . ولهذا السبب فان شبحه يخرج من المقبرة كل مساء ليواصل البحث عنها .

وبالرغم من كل ذلك فقد كنت أحب الذهب إلى منطقة المقابر والجلوس هناك حتى أتمكن من رؤية البحر . . وليكنى كنت أخاف بالطبع من الذهب إلى المقابر بعد أن يحل المساء . . ومع ذلك ففي احدى الليالي شاهدت خسروها يتتحرك في منطقة المقابر . . وكان هذا شيئاً غريباً لأن أحداً لا يستطيع أن يعيش في تلك المنطقة في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل . .



الفصل الثاني

الموهون يتحرّكُون .. !

وفي يوم السبت .. بعد مرور بضعة أيام على زيارتي الأولى لحانة « هواى نوت » .. كان الجو سيئاً للغاية ، فقد هطلت الأمطار بغزارة ، وفاض النهر وغطت المياه مساحة كبيرة من القرية ، ومع ذلك فقد ظلت منطقة المقابر بعيدة عن مياه الفيضان بالرغم من أن المياه قد وصلت بالفعل إلى الجدران المحيطة **بالمقبرة** .

وكان الوقت بعد الظهر .. وكنت أسير مع « راتسي » في الطريق الذي يخترق منطقة المقابر لأنـه

كان أفضل الطرق الصالحة للموصول الى القرية بعد أن
أغرقت المياه بقية الطرق الأخرى .

وهناك تقابلنا مع «المستر جليني» ، الذي كان
قادماً من جهة الكنيسة . . . وعندئذ توقفنا عن السير
وبدأنا نتحدث معه . . . وكانت وقوفنا بجوار قبر مرتفع ،
يبدو وكأنه على شكل منضدة ، وتحيط به شجرتان . . .
شجرة على كل جانب . . .

وكانت الشمس قد أوشكت على المغيب والاختفاء
خلف خط الأفق ، ولكنها لم تزل تسلط أشعتها الحمراء
على السحب العالقة بالسماء . . . والتي كانت تتشكل
في أشكال غريبة ورجال ضخام يحيط بهم النور
الأحمر من كل جانب . . .

والحقيقة أنى بدأت أشعر بالخوف من البقاء فى
منطقة المقابر بعد مغرب الشمس وحلول الظلام . . .
لذلك فقد وضعت يدى على ذراع «راتسي» لأنبهه إلى
أن وقت عودتى الى البيت قد حان .

وفجأة حدث شيء جعلنى ارتعد من شدة الخوف
.. سمعنا أصواتا صادرة من تحت أرض المقابر ..
وكانت معنا « مسز تاكر » وهى سيدة عجوز طاعنة
في السن .. وما أن سمعت الأصوات المخيفة التي
سمعناها ، حتى صاحت عاليا وهي تسرع بالفرار .

- المون يتحركون !! .. المون سيخرون
من قبورهم !!

وعندئذ قال « المسن جليني » وهو يقف ثابتا كان
 شيئا لم يحدث :

- يالها عن سيدة غبية ! .. إننا نقف فوق
المقابر .. والقبور عبارة عن غرف تحت الأرض ..
وبعضها غرف واسعة رصت فيها توابيت أسرات
وعائلات بأكملها .. وربما تسربت المياه إلى تلك الغرف
فحركت التوابيت وجعلتها تتغابط في بعضها ..

وقال « راتسى » :

- ربما تكون على صواب يامستر « جليني » ..
ولكن هناك مثل يقول : عندما يتحرك الموهون .. فان
ذلك معناه الموت لشخص ما ..

فقال « المستر جليني » :

- اذا تحرك الموهون فان ذلك قد يعني اشياء
كثيرة .. ولكن هذه المرة لم يتحرك الموهون .. بل
المياه هي التي حركت توابيتهم !

* * *

شعرت بالارتياح والسرور عندما غادرت ذلك المكان
.. وأسرعت في طريقي إلى البيت .. ولكن ذهني
كان مشغولا طول الوقت بحكاية « جون موهون » ذي
اللحية السوداء والجوهرة التي خبأها في مكان ما ..
ترى أين خبأها ؟ .. ربما أخفاها في قبره .. وهل
هو بالفعل مازال يبحث عنها ؟ .. وهل صحيح أنه
يقوم من قابوته ويخرج من قبره بعد مغرب الشمس
ويظل يبحث عنها طول الليل ؟ .. يبحث عن تلك

المسة البراقة اللمعة الشمينة التي باع من أجلها
شرفه . . . وهل يكتفى بالبحث عنها في منطقة المقابر
أو بالقرب منها . . . أو في داخل القرية نفسها . . . في
الحارات المظلمة . . . وفي الأركان والأماكن التي تخفيها
الظلال . . . !

وتذكرت « كراكى جونس » الذى تم العثور عليه
مقتولا ذات صباح . . .

وفي يوم الاثنين . . . قررت الذهاب إلى منطقة
المقابر لعلى أسمع أصوات « الموهون » وهم يتحركون
. . . وهل هم يتحركون فعلا ؟ . . . وبطبيعة الحال فقد
حرست على أن تتم هذه الزيارة قبيل غروب الشمس ،
وان أغادر منطقة المقابر قبل أن تغزو السماء وقبل أن
تصبح الأشياء ظلالا داكنة . . .

وتسالت إلى منطقة المقابر . . . وقصدت القبر
الضخم الذى يبدو كمنضدة والذى يتوسط شجرتين

والذى كنا بجانبه حين سمعنا الأصوات الصادرة من تحت الأرض . . . وهناك فوجئت بوجود « راتسى » و « الزفير » . . وكان « راتسى » يضع أذنه على جدار القبر كما لو كان ينصت الى شيء . . . ولاحظت أن « راتسى » قد اعتراه الغضب حين رأنى ، ولذلك فقد بدأت فى الجرى محاولا المهرب ، ولكن نادى على قائلا :

— جون . . جون . . ما الذى دعاك الى الخضور الى منطقة المقابر فى مثل هذا الوقت ؟

أجبت بلا تردد :

— لقد جئت لأسمع أصوات « الموهون » وهم يتحركون . . وهل ما زالوا يتحركون ؟ !
فقال « راتسى » :

— دعك من هذه الخرافات والاشاعات الغبية . . كل ما فى الأمر أن المياه قد تسربت تحت أحجار هذا القبر . . وهأنذا أقوم باصلاحها . . وعليك الآن أن تذهب الى بيتك فى طريق عودتك . . وتخبرهم هناك

بأنى سأتأخر فى العودة هذا المساء لأنى مشغول فى
اصلاح القبر كما ترى !

لاحظت انه يحاول ان يجد مبررا او سببا ليبعدنى
عن هذا المكان .. وعلى اية حال فلم اكن ارغب فى
الوجود فى مكان اعتبر فيه شخصا غير مرغوب .
ولذلك فقد اسرع بـ العودة .. ومررت على بيت
« راتسى » وأخبرتهم بما قال .. ولكنى ما ان غادرت
البيت بعد اداء هذه الهمة ، حتى رأيت « راتسى »
قائما نحو البيت .. وحين رأنى ضحك .. !

الفصل الثالث

تحت الأرض ..

أصبح هذا القبر الضخم المرتفع الذي يشبه المنضدة مكانى المفضل فى منطقة المقابر كلها .. كنت أجلس فوقه محتميا بظل الشجرتين وأتمتع بمشاهدة البحر والسفن الشراعية العابرة من بعيد ..

كان من الواضح أن هذا القبر بالذات محل اهتمام كثيرين غيري ، فقد كان الطريق الضيق المؤدى إليه مهددا على نحوها وتنظره عليه آثار العديد من الأقدام .

لقد مررت الآن عدة أسابيع منذ أن رأيت درايسى»

و « الزفير » واقفين عند القبر وعندما استبعدي
« راتسي » من منطقة المقابر بحجج واهية وغير حقيقة
.. ومع ذلك فقد أصبحت الآن مواظبا على المضور
إلى هذا المكان لاتمتع بالوحدة والهدوء ومنظر البحر ..

وفي عصر أحد الأيام ، ذهبت إلى مكانى المعتاد ..
وجلست موجها نظري نحو البحر .. وكان الجو هادئا
وقد ساعد الماء الدافئ على تجفيف مياه الأمطار
الغزيرة التي سقطت منذ فترة .. ولكن الأرض
الترابية التي جفت ، اتخذت أشكالا غريبة متنوعة ..
بعضها على هيئة خطوط متوازية أو متقطعة ،
وبعضها اتخذ شكل أوان فخارية سينية الصنع ، كما
تخلفت عدة ثقوب في بعض الأماكن بارض المنطقة ..

لقد لف الماء كل شيء لدرجة انى كنت اسمع
غناء « جورج » الفلاح وهو يعلم بحقله عند سفح
المتل .. وكانت الساعة قد اقتربت وقتئذ من الرابعة
بعد الظهر .. لقد حان اذن الوقت المناسب لمغادرة
منطقة المقابر والعودة إلى البيت .. وفجأة سمعت

صوتا صادرا من تحت الأرض التي يعثوها التبر
الضخم الذي كانت تجلس فوقه . . . لاحظت أن بعض
الأتربة قد انهارت تحت الكتلة الحجرية التي تسد مدخل
القبر ، وتركت فتحة صغيرة ، ولكنها تكفي لدخول أي
إنسان يزحف على يديه وركبته .

وبطبيعة الحال فلا يوجد أي صبي في الدنيا يرى
مثل هذه الفتحة ولا يود الدخول إليها ليعرف ماذا
وراءها . . . وهي نفس الرغبة التي انتابتنى وقت ررت
تنفيذها . . .

ومكذا قفزت من فوق القبر ، وجلست على الأرض
جوار الفتحة ، ومددت قدمي بداخلها ، وبدأت أزحف
ببقية جسمى، إلى أن لمست قدمى الأرض بداخل القبر
. . . وعندئذ وجدت نفسى واقفا تحت الكتلة الحجرية
التي تسد مدخل القبر من الخارج .

توقعت فى البداية أن الأمر لا يعود أن بعض الأتربة
التي كانت تغطى سقف القبر قد انهارت وادت إلى

ظهور تلك الفتحة التي تسللت خلاها ، و كنت اظن
اننى الان بداخل المجرة السفلية للمقبرة .. ولكنى
كنت مخطئاً في هذا الاعتقاد وهذا المظن .. فقد تأكّدت
من ان هذه الفتحة هي في حقيقة الأمر مدخل الى ممر
طويل ينحدر قليلاً الى أسفل ..

وكان هذا الاكتشافاً رائعاً ومحيراً بالنسبة لي ..
فلا شك ان هذا الممر السري سيؤدي الى المكان الذي
اخفي فيه ذو اللحية السوداء جوهرته الثمينة ..
وانقاذه احساس فامر بالسعادة حين تصورت نفسي
وقد عثرت على تلك الجوهرة ، وأصبحت في قمة الثراء
والغنى ..

وتتبّعه بدهشة الى ان هواء الممر لطيف ومتجدد
.. وان الممر نفسه نظيف بالرغم من ان ارضيته مغطاة
بتراب ناعم تظهر عليه آثار اقدام كثيرة .. وبدأت
أصير الى داخل الممر بحذر وقد مدّدت ذراعي امامي
حتى لا أصطدم بشيء غير متوقع .. ثم أخذ الضوء
يختفت ويقل كلما توغلت الى الداخل الى ان وصلت

الى نقطة لا اثر للضوء فيها وغارة في ظلام دامس
و عندئذ شعرت بالخوف وقررت العودة .

وفي أقل من دقيقة كنت أزحف بجسمي خارجا من
نفس المفتحة التي دخلت منها . . وتسلل الى انفي
الهواء المنعش ورأت عيناي أضوا الشفق الحمراء
وهي تلون صفة السماء . . واسرعت الخطى نحو
بيت خالي قبل أن يحين موعد العشاء .

وفي اثناء الطريق قررت انني لابد ان اعود الى هذا
الممر الغامض مرة اخرى ، ولكن من الضوزي ان
تكون معى شمعة اربعين بضونها عندما يلزم الأمر !



الفصل الرابع

المخازن السرية للمهربيين

لاحظت على الفور أن خالتى كانت غاضبة على لأنى أصبحت أتأخر كثيراً عن الموعد المناسب للعودة إلى البيت . . وعندما أحضرت طعام العشاء جلسنا نتناوله صامتين ، ولم تنطق خالتى بكلمة واحدة . . وطبعاً لم أخبرها بشيء عن اكتشافى المثير للمعلم السرى . . ولكن ما أن انتهينا من تناول الطعام حتى هبت خالتى واقفة وقالت :

- جون ! . . لقد لاحظت أنك أصبحت تتأخر كثيراً في العودة إلى البيت مساء كل يوم . . وهذا

أمر سبئ بالتنبيه لصبي في مثل عمرك .. ولا يجب
ان تبقى خارج البيت بعد غروب الشمس .. ان
السرير وحجرة النوم هي افضل الاماكن للأولاد في
مثل هذا الوقت .. والآن دعني اقرأ لك شيئاً قبل
ان تذهب الى النوم ! ..

وجلست خالي ويدات في القراءة من كتاب
يتضمن الكثير من الحكايات عن المثل العليا والأولاد
الصالحين الطيبين ذوى الأوصاف الحسنة التي تجعل
من الصعب على الانسان أن يصدق أن مثل هؤلاء
الأولاد كانوا موجودين في الحقيقة .. ولا أخفى أن
ذهني كان منصرفا تماماً عما تقرأه خالي .. لقد
كنت مشغولاً بأحلامي عن الجواهر .. وعن صاحب
اللحيه السوداء .. وعن المعر السرى .. وعن الشمعة
التي يجب أن احملها معى عند ذهابي لاكتشاف هذا
المعر مرة أخرى ..

وبعد أن انتهت خالي من القراءة .. وقفت
وقبلت رأسها وتوجهت فوراً الى غرفة نومي .. وما

كنت أعلم في تلك اللحظة أنني أقبل خالتى لأخر مرة ..
وأنى لن أعود للنوم في تلك الحجرة مرة أخرى ..

كان ضوء القمر ينير حجرتى .. ولم أخلع
ملابسى حين تمددت على السرير متظراً مزوراً الوقت
حتى أتأكد من أن خالتى قد استقررت في النوم .
وانظرت طويلاً ..

وعندما تيقنت من أن خالتى قد نامت .. قمت
بهدوء وخلعت حذائى وحملته في يدي حتى لا أحدث
صوتاً يوقع خطواتي على الأرض .. وتوجهت إلى
غرفة المخزين وحصلت على شمعة كبيرة جيدة .
وتسليت بكل هدوء إلى خارج البيت .

وتعمدت أن أسير في مناطق الظللا و الأماكن
المظلمة على جانبي الشتارع حتى لا يراني أحد .. ولكن
قرية « مون فليت » بالكاملها كانت مستقررة في النوم .

ولايوجد أى أثر للضوء . ينبعـث من مساكنها وبيوـتها ، عـدا ذـلك الضـوء الخـافت الذـى يـخرج من حـانة « هـواى نـوت » . واقتربـت من نـافذـة الحـانـة ، وحاـولـت أن أـرى ماـيدور بـداخلـها ولـكـنـى لم أـسـتـطـع أن أـرـى شـيـئـا .. بل سـمعـت عـدـة أـصـوات تـقـدـحـت مع بـعـضـها .. تـرـى مـن هـم اـصـاحـاب هـذـه الـأـصـوات وـفـيـم يـتـحـدـثـون فـي هـذـا الـوقـت المـتأـخـر مـن الـلـيل ؟ !

روـاصـلت السـير .. حـتـى فـصـلت أـخـيرا إـلـى مـنـطـقـة الـمـقاـبـر .. وـعـقـدـت بـدـائـات أـشـعـر بـالـخـوف .. لـآن هـذـا الـوقـت مـن الـلـيل هـو أـقـضـل الـأـوقـات بـالـنـسـبة لـصـاحـب الـلـعـبـة السـودـاء ، ليـتـجـولـ فـيـه بـحـثـا عن جـوـهـرـتـه .. وـكـنـت أـتـوـقـعـ أن أـرـاه أـمامـيـ فـيـ آيـة لـحـظـة .. وـلـكـنـ شـيـئـا مـنـ هـذـا لـم يـحـدـثـ وـلـم اـقـابـلـ أـحدـا وـلـيـسـ هـنـاكـ صـوتـ سـوـى وـقـعـ أـقـدـامـيـ عـلـى بـعـضـ الـأـعـشـابـ الـتـي تـغـطـي أـرـضـ مـنـطـقـة الـمـقاـبـر .. وـوـصـلتـ فـيـ النـهـاـيـة إـلـى مـوـقـعـ الـفـتـحـةـ الـتـي سـاـتـسـلـلـ هـنـها إـلـى الـمـرـ السـرـى ..

فـيـ الـجـقـيـقةـ أـنـيـ تـرـدـتـ كـثـيرـا .. وـأـخـذـتـ أـسـائلـ

نفسى : هل أ GAMER بالدخول أم أعود إلى البيت . . .
وفجأة لاحظت في ضوء القمر أن هناك قاربا يرسو
بالمقرب من شاطئ البحر . . . وكان من الغريب أن
يصل أحد القوارب إلى « مون فليت » في هذا الوقت
المتأخر من الليل ولشدة دهشتي رأيت إشارات بالنور
الازرق تتباعد عن هذا القارب في اتجاه الشاطئ .
وتأكدت عندئذ من أن هذا القارب يتبع بعض المهربيين
الذين يريدون أن يصلوا زملاء لهم على الشاطئ بازدهم
وصلوا وأنهم مستعدون . . .

غير أنى لم أهتم كثيراً بهذا الأمر ، وعزمت على
البدء في مهمتي التي حضرت من أجل تنفيذها وهى
المدخل إلى المعر واكتشاف خبایاہ حتى أعثر على
الجوهرة . . . واستغرقت في أحلام الغنى والثراء مرة
أخرى .

ولكنى مع ذلك لاحظت أن هناك آثار اقتدام على
التراب الناعم أكثر مما رأيته في المرة السابقة . . . ترى

هل سبقنى أحد بالمجىء الى هنا وسيحصل على الجوهرة قبل أن أحصل أنا عليها ؟ !

وعلى ضوء الشمعة واصلت السير داخل الممر . .
وخلال إلى أني سرت نحو ميل أو أكثر . . ولكنى لم
أتجاوز في حقيقة الأمر أكثر من عشرين خطوة . .
ورأيت على أحد جانبي الممر فتحة في الحائط على
شكل باب مفتوح يؤدى إلى حجرة داخلية . . وساعلت
نفسى ماذا عساها أن تكون هذه الحجرة . . وتذكرت
أن هذا القبر يضم مجموعة توابيت عائلة « الموهون »
ولابد أن تكون هذه الحجرة هي حجرة الدفن التي
تضم مجموعة التوابيت . . ودخلت . .

كانت حجرة كبيرة أوسع كثيراً من حجرة الفصل
في مدرستنا ولكن سقفها منخفض لا يزيد ارتفاعه على
تسعة أقدام . . وكانت أرضها مغطاة بالرمال ، وعند
أحد جوانب الحجرة رأيت بعض الدرجات . . وعلى
جميع جوانب الحجرة تراصت توابيت عائلة « الموهون »
مدفونة في الفتحات التي أعدت لها على الجدران . .

وفي وسط الحجرة لم يكن هناك توابيت ، بل رأيت مجموعة كبيرة من الصناديق والبراميل مختلفة الأشكال والأحجام .. إنها البضائع المهرية !!

هذا هو اذن الاكتشاف الحقيقي .. فبدلاً عن العثور على جوهرة « ذى اللحية السوداء » .. اكتشفت أن قبر عائلة « الموهون » قد أصبح مخزناً سورياً للبضائع المهرية !

الآن فقط أدركت حقيقة الأصوات التي صدرت من تحت الأرض والتي قيل إنها أصوات « الموهون » وهم يتحركون .. لم تكن التوابيت فقط هي التي تتحرك بفعل مياه الأمطار ، ولكن الصناديق والبراميل تحركت أيضاً وأخذت تتخاطط في بعضها ..

وأدركت أيضاً أن « راتسي » و « الزفير » يعملان في التهريب .. وأن « راتسي » كان قد حضر إلى القبر يوم أن قابلته هناك وأبعدهني لكي يطمئن على أن فتحة

المر سلیمة خوفا من ان يكتشف أحد امرها ويعرف
سر مخزن البضائع المهرية ..



ومع ذلك فقد عاودت التفكير مسراة أخرى في
موضوع الجوهرة الثمينة وكيفية العثور عليها ..
وبدأت افكر في توابيت عائلة « الموهون » المرصوصة
في جدران الحجرة^١ .. ففي أي تابوت ياترى أخفى
الجوهرة الثمينة ؟ ! .. ان جميع هذه التوابيت
متشابهة إلى حد كبير ولا يوجد عليها اسماء أصحابها
.. وبدأت أشعر بالملائكة وبأنى لن أعثر على شيء في
هذا المكان .. وفجأة سمعت جرس الكنيسة يدق اثنتي
عشرة دقة معلنا انتصاف الليل ..

كانت « مون فليت » تفخر دائمًا بجرس كنيستها ،
لأن رتبته كان قوياً وجميلاً .. ولكن صوت الجرس
وصلنى وأنا في ذلك المكان تحت الأرض بطريقة مختلفة
لم اسمعها عن قبل ، فقد أصبحت لا أعرف حتى بدا

رنين الدقة ومتى انتهى . . الى ان توقف المرنين تماما
وعاد الصمت يطبق على المكان كله . .

ولكن صوتا آخر بدأ يتسلل الى سمعي . . لم
أتبيّن في البداية حقيقة ذلك الصوت ، ولكنني ادركت انه
صوت اناس قادمين نحو المكان ، وسمعت أيضا حديثا
يدور بينهم ولكنني لم أتبين كلماته . .

ولن استطع ان اصف الرعب الذي احسسته وانا
اسمع هذه الاصوات وهي تقترب مني رويدا رويدا . .
لقد تجمدت من شدة الخوف وأصبحت نصف ميت . .
ومرت دقيقة واحدة بدت لي وكأنها ساعة كاملة حتى
ادركت انني وقعت مثل الثعلب في المصيدة . . وان
المهربين سيقبضون على لامحالة ، وسوف يلزمونني
الصمت بطريقتهم المعروفة . . وتذكرت في هذه اللحظة
حكاية « كراكى جونس » الذى وجد ميتا فى منطقة
المقاير وقيل انه تقابل مع « ذى اللحية السوداء » فى
تلك الليلة فقتله . .

وأزداد رعبى وخوفى أضعافاً مضاعفة حين سمعت صوت دخول أحد الرجال من نفس الفتقة التى دخلت منها ، وأن هذا الرجل قد بدأ يتحدث مع آخرين يقفون خارج الفتقة . . . وكان لابد أن أختفى فوراً فى أى مكان بقلck الحجرة . . . ولاحظت وجود تابوت خشبي ضخم مدفون فى حفرة عميقه بجدار الحجرة ، ويعلو عن أرضيتها بنحو ستة أقدام . . . وأسرعت بالتسليق وأدخلت جسمى فى المساحة الضيقه التى تفصل التابوت عن جدران الحفرة . . . وبسبب ضيق المكان ، اضطررت أن أمدد جسمى راقداً على جانبي . . .

وفي تلك اللحظات بدأ سير الرجال فى الممر ، واخذوا يقتربون نحو الحجرة . . . وببدأ ضوء الشموع التى يحملونها يتسلل إلى الداخل . . . وسمعت صوت « راقسى » وهو يقول :

— سوف أقوم بسد الفتقة باحكام . . . حتى لا يعلم أحد بمكان وجودها !

فرد عليه صوت آخر :

— كن حذرا . . . ولا تدع أحدا يراك أثناء قيامك
بسد المفتحة !

ولاحظت أن عدد الرجال قد ازداد . . . وسمعت
أحدهم يقول :

— لقد كنت في « دور شستر » منذ ثلاثة أيام . . .
وهم يقولون هناك أن المهربيين الثلاثة الذين تم القبض
عليهم سيعذبون شنقا . . . وعلمت أيضا أن « ماسكيو »
كان هناك . . . وأنه يصر على اعدام المهربيين . . . !

وقال رجل آخر :

— آه « ماسكيو » ! أتمنى أن أراه لكي أقتله !

وقال رجل ثالث :

— ليتنى أرى « ماسكيو » ، هذا فى ليلة مظلمة . . .
سوف أنتقم منه وأرديه قتيلا !

واخيرا سمعت صوت « الزفير » وهو يقول :

- لا .. دعوا امر « ماسكيو » لى وحدى ..
الذى ساتعامل معه وانتقم .. هل نسيت انه قتل ابني
« دافيد » ؟

في تلك اللحظات أصبح الجو خانقا بداخل تلك
الحجرة بسبب انفاس الرجال ورائحة الشموع والمسابيع
المضيئة .. ورائحة الصناديق والبراميل وما بداخلها
من بضائع مهربة .. لذلك بدأت أشعر بالمرض ..
واحسست بالألم شديد في جنبي من طول الرقاد عليه
في مخابى الضيق .. وفجأة سمعت اسمى يتربّد على
لسان « بارميتر » وهو بحار يسكن في الطرف الشمالي
من القرية .. قال « بارميتر » :

- هذا الصبي « جون ترنشارد » .. لقد دأب على
التجول كثيرا في منطقة المقابر .. انه يجلس فوق
هذا القبر وينظر دائما نحو البحر .. لقد رأيته على
هذا النحو عدة مرات .. وأخشى أن يكون هذا الصبي
جاسوسا علينا .. يراقبنا ويخبر « ماسكيو »
بتحرّكاتنا .. !

وتدخل «جرينج» وهو غلاح من قرية «رنجستاف»
المجاورة لقرية «مون فليت» . . . واصفاً قائلاً :

— نعم انت على حق . . . فحين كنت مكلفاً بمراقبة
بيت « ماسكيو » لاحظت أن هذا الصبي « جسون
ترنشارد » يحوم كثيراً حول البيت ، وينظر كثيراً الى
الداخل بنظرات زائفة غريبة . . .

وما قاله « جرينج » كان حقاً . . . فقد كنت اتجول
عصر كل يوم من أيام الصيف في الطريق الصاعد
إلى أعلى المثل وهو طريق مجاور تماماً للبيت
« ماسكيو » . . . ولكنني كنت أفعل ذلك لسبعين مختلفاً
 تماماً عما يقوله هذان الرجلان . . .

السبب الأول أن النزهة في ذلك الطريق تسعذني
كثيراً . . . والسبب الثاني هو أنني كنت أتمنى أن أرى
« جريس » ابنة « ماسكيو » اثناء قيامها بذلك النزهة . . .

ولذلك فكثيراً ما كنت أجلس على سور خلف حديقة
البيت لعلى أمعن نظري برؤية « جريس » وهي مرتدية

رداًّها الأبيض النظيف وتبعد في غاية الروعة . .
وأحياناً كنت أقترب من نافذة حجرتها والوح لها بيدي
محياً . . بل وعندما علمت أن « جريس » قد مرضت ،
امتنعت عن الذهاب إلى المدرسة ، ولازمت جلستي فوق
السور كل يوم ناظراً نحو غرفتها التي ترقد فيها
مريضة . .

ولذلك فمن الصحيح أنني كنت أرافق بالفعل بيت
« ماسكيو » . . ولكن لم أخبر « ماسكيو » بأى
شيء . .

وهنا بذا « راتسي » يتكلّم في صالحه :

— لا . . لا . . ان « جون ترنشارد » ولد طيب . .
وقد أخبرني أنه يحب الذهاب إلى منطقة المقابر حتى
يتمكن من أن يرى البحر . . لأنّه يحب البحر جيا جعا
ويتمتع بمنظره . .

ولشدة دهشتي تدخل « المزفيو » قائلاً :

— ان « جون ترنشارد » ولد شجاع . . وكم

اتمنى ان يكون ابنا لى .. انه في مثل عمر « دافيد .. وانا أتوقع ان يصبح بحارا ماهرا في المستقبل

اسعدتني هذه الكلمات البسيطة التي قالها « الزفير » عنى .. وكان من الواضح انه كان يقول هذه الكلمات بكل صدق .. وفي حقيقة الأمر فقد كنت معجبا بشخصية « الزفير »، وكنت أحبه .. وحزنت كثيرا عندما فقد ابنته .. وأوشكت أن انهض من مخيالى وأقول بأعلى صوتي : هاندا .. جون ترنشارد بنفسه !

ولكنى استبعدت هذه الفكرة الغبية من ذهنى وواصلت الاختباء راقدا على جانبي .. وبعد أن فرغ الرجال من وضع الصناديق والبراميل التي احضرواها بداخل الحجرة ، جلسوا على الأرض ، وبدأ « جريننج » في الغناء .. ولكن « الزفير » أسكنه على المفور وقال :

ـ المزم الصمت ايها الجنون .. انك تصفع ضوضاء يمكنها أن توقظ أهل القرية !

وأضاف « راتسي » :

— وإذا استيقظ أهل القرية فسوف يعتقدون أنهم يسمون صوت « ذى اللحية السوداء » وهو ينادى على الموتى من عائلة « المولون » .. ويطلب منهم مساعدته في البحث عن جوهرته المفقودة !

ومن حديث هؤلاء الرجال تبين لى بسهولة أن « الزفير » هو قائد هذه المجموعة وكبيرهم .. وبعد مرور فترة صمت قصيرة ، سمعت أحد الرجال يقول :

— هيا بنا نذهب .. فقد تأخر الوقت .. وعلينا أن نعود الآن إلى السفينة !



الفصل الخامس

سجين داخل القبر

أنصرف المزجال وخرجوا من الحجرة واحداً تلو الآخر . . . وسمعت وقع أقدامهم وهم يعبرون الممر ليخرجوا من الفتقة الموجودة في اخره . . . وأصبحت وحدي في تلك الحجرة المعلوقة بتوابيت الموتى وصناديق وبراميل البضائع المهرية . . . وظل الرجال يتهدتون لفترة طويلة في كيفية سد الفتقة وجحبها عن الانتظار بعد الخروج منها . . . وبالرغم من أن الرجال كانوا يتهدتون خارج الحجرة وبالقرب من نهاية الممر ، إلا أنني خشيت أن أخرج من مخبأ ، خوفاً من أن

يعود أحدهم إلى الحجرة لسبب أو آخر .. وانتظرت
إلى أن اختفت الأصوات تماماً ..

وبناءً اندفع محاولاً الخروج من حفرة التابوت
المحفورة بـأعلى جدار الحجرة .. ولكن تبين لي أن
الخروج من تلك الحفرة كان أصعب كثيراً من الدخول
إليها .. فالتابوت الخشبي الضخم الذي كان موضوعاً
بـداخل تلك الحفرة كان قد يما وتأكلت أخشابه بمرور
الزمن وكانت أن تحول إلى تراب هش .. وكان من
المستحيل أن أصعد فوقه لأساعد نفسي في الخروج من
الحفرة ..

كنت قد أشعلت شمعتي لأوفر ضوءاً كافياً أرى فيه
أين أضع قدمي .. وفجأة سقطت الشمعة من يدي
ووُقعت على أرض الحجرة ، وبناءً أنا نفسي في
السقوط وراءها .. وفي لمح البصر مددت يدي لأمسك
بـأى شيء يمنع سقوطي ، وحاولت الامساك بـأعلى
التابوت الخشبي ولكنه تحطم وسقطت في النهاية على
الأرض وسط عاصفة من التراب وقطع من الخشب

المهش المتكلل ، ولكنني أحسست بآتي أمثلك شيئاً في
يدى !!

وعثرت على شمعتي وأشعلتها .. وفي الضوء
عرفت أن هذا الشيء الذي أمسكه في يدي عبارة عن
علبة صغيرة مصنوعة من الفضة التي يغطيها تراب
الزمن .. ويبدو أن تلك العلبة كانت معلقة برقبة جثة
«جون موهيون» صاحب اللحية السوداء المدفونة بداخل
التابوت المتكلل .. ومن المؤكد أنن إنها تحتوى على
الجوهرة المثمينة !

ونفضت التراب المتراكم على سطح العلبة وحاولت
فتحها إلا أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل في البداية
.. فحاولت مرة أخرى وأخذت أضغط عليها بأصابعى
الى أن انفتحت في النهاية ..

لم تكن هناك جوهرة ولا أية ماسة أخرى صغيرة
أو كبيرة .. ولم أجد بداخل العلبة الفضية إلا قطعة
صغيرة من الورق عليها بعض الكتابات .. وعاودنى

الأمل مرة أخرى وقلت لنفسي ربما تتضمن تلك الورقة
خطة توضح المكان الذي أخفيت فيه الجوهرة . وقربت
الشمعة وبدأت أقرأ الكلمات التالية :

قد يعيش الرجل ثمانين عاما ..

يمشي قسماً قدماً تحت سيل الدموع ..

فأشرب من يئو السعادة ..

لأن الموت سيأتي حتما ..

من جهة الشمال أو الجنوب ..

« جون موهون »

وبعد قراءة هذه الكلمات الفارغة ، تبدلت كل
اللامى وأمالى فى العثور على الجوهرة الثمينة ..
فهذه الكلمات التى كنت أظن أنها تتضمن خطة محكمة
تبين المكان السرى الذى أخفيت فيه الجوهرة، لاتشير إلى
أى شيء من ذلك ، بل تشير إلى نصيحة جوفاء لكي
يسعى الإنسان إلى تحقيق السعادة لأن الموت سينهى



وَنَظَرَتِ الْمَلَائِكَةِ يَدِي

حياته ان عاجلاً او جلاً ، حتى ولو عاش ثمانين
عاماً ..

ولم يعد هناك اي مبرر لموجودي في هذا المكان ،
وعلى ان اعود الى البيت قبل ان يظهر نور الصباح ..
ومكذا علقت العلبة الفضية حول رقبتى .. وبدأت
السير بخطوات ثقيلة واتجهت نحو الفتحة التي دخلت
منها والموجودة في نهاية الممر .. وفوجئت بان الفتحة
قد سدت باحكام !! ..

توقعت في البداية ان هذه المشكلة يمكن حلها
بسهولة ، وما على الا ان ازبع طبقة الملاط التي تحيط
بالحجر الذي يسد الفتحة ثم أزحرز الحجر وأصعد
إلى الخارج .. وعندما بدأت في إزاحة الملاط باصابعى
ووجدت ان الأمر صعب للغاية وقد يستغرق زهدا طويلا
.. فمن الواضح ان « راتسى » قد نفذ عمله بطريقة
جيده كما وضع فوق الفتحة ركاما من كسرات الأحجار
من بقايا القبور القديمة .

في تلك اللثـاء بــأ نور شـمعـتـي يتـضـاءـل ويـخـبـو
روـيدـا . . . ثـم اـختـفـى فـهـائـيـا وـحلـ ظـلامـ دـامـس . . . وـلمـ
يـكـنـ هـنـاكـ حلـ سـوىـ أـنـ اـنتـظـارـ حلـولـ الصـباـحـ حـيـثـ
يـتـسـرـبـ ضـوءـ النـهـارـ خـلـالـ كـسـرـاتـ الـأـجـارـ ،ـ فـاتـمـكـنـ
هـنـدـنـذـ مـنـ موـاصـلـةـ اـزـاحـةـ المـلاـطـ وـزـحـزـحةـ الـحـجـرـ . . .
وـنـظـرـاـ لـأـنـيـ أـصـبـحـتـ أـحـسـ بـقـرـصـةـ الـجـوعـ وـبـشـدـةـ الـتـعبـ
وـالـأـرـهـاقـ . . . لـذـلـكـ فـقـدـ جـلـسـتـ عـلـىـ الـأـرـضـ ،ـ وـاسـتـغـرـقـتـ
فـيـ النـومـ . . . !

وـلـاـ اـدـرـىـ كـمـ مـرـ عـلـىـ مـنـ الـوقـتـ مـسـتـغـرـقـاـ فـيـ هـذـاـ
الـنـومـ . . . وـلـكـنـيـ عـنـدـمـاـ اـسـتـيقـظـتـ ،ـ لـاحـظـتـ عـلـىـ الـفـورـ
أـنـ الـمـكـانـ لـمـ يـنـزـلـ مـظـلـمـاـ ،ـ عـدـاـ بـعـضـ شـعـاعـاتـ خـافـقـةـ
وـضـئـيلـةـ تـسـرـبـ خـلـالـ كـسـرـاتـ الـأـجـارـ الصـغـيرـةـ . . .
وـكـانـتـ شـعـاعـاتـ حـمـراءـ مـنـ نـورـ الشـمـسـ الـفـارـيـةـ . . .
وـيـلـىـ ! . . . يـبـدوـ أـنـيـ اـسـتـغـرـقـتـ فـيـ النـومـ لـمـدةـ نـهـارـ كـامـلـ
. . . وـكـانـتـ هـذـهـ النـتـيـجـةـ مـفـاجـأـةـ كـامـلـةـ . . . بـلـ مـفـاجـأـةـ
مـحـزـنـةـ . . . أـنـ مـعـنـىـ ذـلـكـ أـنـ عـلـىـ أـنـ أـقـضـيـ لـيـلـةـ أـخـرىـ

سجينًا في هذه المقبرة على أن انتظر نور الصباح في
اليوم التالي ..

وبالرغم من شدة اليأس واحساسى بالجوع
والعطش ، فقد حاولت فى الظلام أن أفعل شيئاً ..
وحاولت لمدة تزيد على ساعة كاملة أن أخربش فى
الملاط وزحزة الحجر .. وضاع كل هذا الجهد دون
حدوى .. ولم أصل إلى أية نتيجة سوى أنى أجهدت
نفسى وجرحت أصابعى ..

واضطررت إلى الجلوس على الأرض لاحصل على
بعض الراحة .. ورأيت آخر شعاع من الضوء الأحمر
وهو يتوارى ويختفى .. وعاد الظلام دامساً مرة
أخرى .. فرقدت على الأرض ووضعت ذراعى فوق
عينى المغمضتين حتى لا أشعر بمدى كثافة الظلام فى
سجني بذلك المقبرة ..

وبعد فترة طويلة فزعت واقفاً .. واحتدأت أنادى
بأعلى صوتي : يامستر جلينى .. ياراتسى .. يا الزفير
.. تعالوا وانقذونى من هذا السجن المظلم .. !!

ولكن كل هذه النداءات ضاعت عيناً ولم يسمعها أحد . . . فعاودت محاولاتي في خربشة الملاط وزحزمة الحجر . . . واستمرت محاولاتي عدة ساعات إلى أن ارتميت على الأرض من شدة التعب واستغرقت في النوم مرة أخرى . . .

وبعد عدة ساعات تنبهت إلى شعاعات من ضوء النهار تتسلب خلال كسرات الحجر . . . فنهضت متثاقلاً وعاودت محاولاتي المجهدة . . . وفجأة شعرت بظلم من نوع آخر . . . كما لو كانت عيناي مغلقتين . . . وكان رأسي تلف وتدور . . . وتدور . . . وسقطت على الأرض مغشياً على . . . !

الفصل السادس

في حانة «هواي نوت»

وعندما عدت إلى وعيي .. وجدت نفسى راقدا فوق سرير نظيف .. وكان نور الشمس يغمر الحجرة ويستطيع مبهرا خارج النافذة .. أه .. ما هو نور الشمس العظيم الذى طالما تمنيت أن أراه مرة أخرى .. وحمدت الله على هذه النعمة المتمثلة فى نور الشمس .

خيل إلى أنى راقد فى حجرتى ببيت خالتى .. وانى حلمت حلما مفزعا عن المهربين وعن السجن فى مقبرة مظلمة مغلقة .. وهممت بالقيام من الفراش ولكنى ارتعست على ظهري مرة أخرى ولم استطع التحرك

وشعرت باني خسيف جداً ومرizin .. واحسست بشيء
ما معلق برقبتي ، فمددت يدي لاتحسسه ، ففوجئت بأن
هذا الشيء هو العلبة الفضية التي كانت معلقة حول
رقبة «جون مومن» ، صاحب اللحية السوداء والتي
عثرت عليها مصادفة في تابوتة .. الموضوع اذن لم
يكن حلماً مفزعاً بل كان حقيقة واقعة !!

في تلك اللحظة فتح باب المجرة ودخل «الزفير
بلوك» ، فرفعت يدي وصحت متدهشاً :

- الزفير .. الزفير .. انقذني .. انقذني
أرجوك !! !!

تقدم «الزفير» نحوى .. ووضع يده المحنون فوق
رأسى ، وقال بصوت خفيض كله حنان وشفقة :

- اهلاً يابنى .. انت في امان هنا ولن يضرك
شيء .. اشرب هذا !!

وا طافى كوبا من اللبن العافن .. اخذت اشربه
على مهل .. واخبرنى «الزفير» ، بانى الان في حالة

، هواى نوت ، ٠٠ ولم يضف أية تفاصيل أخرى .
وطلب مني أن أهدا وأواصل المptom . ٠٠ ووعدني بـ
أعرف التفاصيل فيما بعد .

ومرت نحو عشرة أيام أو ربما أكثر من ذلك قبل
أن استرد وعيي تماما واستعيد صحتي وقواي . ٠٠ وكان
ـ الزفير ـ يقوم بتعريضي وخدعه طول الوقت وكأنه
أم عطوف رحيمة ترعى طفليها المريض ٠٠



كان « المستر جليني » هو أول من لاحظ تغيبي عن
الحضور إلى المدرسة ، فظن أنسى مريض . ٠٠ وذهب
إلى بيت خالتى ليطمئن على . ٠٠ ولكن خالتى أخبرته
بأنى قد هربت ولا تعرف أين ذهبت . ٠٠ وعندما التقى
ـ المستر جليني ـ مع ـ راتسى ـ سأله عنى فلم يخبره
ـ راتسى ـ بشىء لأنه لا يعرف شيئاً . ٠٠

ولكن « جريننج » حضر إلى حانة « هواى نوت »
وقال أنه سمع صوتاً يشبه النداء كان يصدر من مقبرة

« الموهون » وبرر ذلك بأنه صوت ذى اللحية السوداء
الذى يصبح وهو يبحث عن جوهرته الضائعة ..

« الزفير » وحده هو الذى استنتج ان شخصا ما
محبوس داخل المقبرة ولم يستطع الخروج منها بعد ان
قاموا بسد الفتحة .. ولذلك فقد اصطحب « راتسى »
معه ، وذهب الاشتان الى المقبرة .. وهناك وجدانى
راقدا على الأرض شبه ميت ..

وكان « الزفير » واثقا تماما من انى لن اخبر احدا
بسر المخزن والبضائع .. أما « راتسى » الذى كان
يتردد ليطمئن على بين حين وخر فقد كان يقول :

- جون .. لا أحد يعرف انى انا و « الزفير »
نقط قد عثروا عليك بالمقبرة .. وانك تعرف الآن سر
المخزن وما فيه من بضائع .. احتفظ بهذا السر
لنفسك يا جون ولا تخرب به احدا ايا كان !



وعندما استعدت تماماً قوائى وعافيتها . . . ذهبت
إلى بيت خالتى الذى كانت غاضبة منى إلى أقصى حد ،
فلم تستمع إلى كلمة واحدة ، بل أخذت تكدرنى وتوجه
إلى كلمات قاسية . . . تماماً مثل الكلمات العنيفة
القاسية التى وجهتها إلى « راتسى » حين جاء ليخبرها
عن مرضى ومكان وجودى بحانة « هوى نوت » . . .
وبالرغم من علمها بالمكان الذى أرقد فيه مريضاً فانها
لم تذهب إلى الحانة لتزورنى أو تطمئن على صحتى . . .

وطربتني خالتى من بيتها وهى تقول :

— اذهب إلى حيث كنت . . . لعل الحانة تنفعك

وهكذا خرجت مطروداً من البيت الوحيد الذى
أوانى . . . وأغرورقت عيناي بدموع غزيرة .

وذهبت إلى حانة « هوى نوت » . . . وأخبرت
« الزفير » بما جرى . . . فبدأ عليه السرور وقلل بعطف :

— ليكن . . . تعسال وعش معنى في الحانة . . .
ستكون خير بديل لابنى « دافيد » . . . !

ومنكذا انتقلت لاعيش في الحانة . وقامت
بالتى بارسال حقيبة وضفت فيها كل ملابسى
ومتعلقاتى .

ومن وقت طويل . واستقرت حياتى مع « الزفير »
في الحانة . وفي كل صباح كنت اذهب الى المدرسة
.. وامضى اوقات ما بعد الظهر في صيد الأسماك او
في اداء بعض اعمال الحديقة .

وفي بعض الأحيان كنت اطلب منه ان اشترك معه
في اعمال تهريب البضائع . ولكنه كان يطلب مني ان
انتظر لأنى مازلت صغير السن . ومع اصرارى
على الرغبة في مشاركته في هذه الاعمال . اتساح
لي « الزفير » فرصة الذهاب في السفن والقوارب التي
تقوم بنقل البضائع المهرية من البحر الى « الشاطئ » .
ومع ذلك فلم أجسر على الذهاب الى مقبرة « الموهون »
مرة أخرى .

وطول الوقت كنت اعلق حول رقبتي رياطًا تتدلى

نـهـ عـلـيـهـ « جـونـ مـوهـونـ » الفـضـيـةـ بـعـدـ أـنـ قـمـتـ بـقـتـظـيفـهاـ
تـلـمـيـعـهـاـ . . وـكـثـيرـاـ ماـكـنـتـ اـجـلـسـ مـعـ « الـزـفـيرـ »ـ
نـحـاـوـلـ مـعـاـ أـنـ نـفـهـمـ شـبـيـثـاـ مـعـاـ تـشـيـرـ إـلـيـهـ الـكـلـمـاتـ
لـكتـورـيـةـ عـلـىـ الـمـوـرـقـةـ الصـغـيـرـةـ الـتـيـ هـاـزـلـتـ اـحـتـفـظـ بـهـاـ
أـخـلـ الـعـلـيـةـ ! . .

الفصل السابع

سقوط الدبوس

في بداية الربيع وصل إلى « مون فليت »، رجل جاء من « دورشستر » وعلق على باب حانة « هواي نوت »، ورقة كبيرة كتب عليها بحروف واضحة أن موظفاً كبيراً تابعاً للملك سيزور « مون فليت » بعد سبعة أيام.

وكان هذا الموظف الكبير على درجة عالية من الأهمية . . . وهو يحضر إلى قرية « مون فليت » مرة واحدة كل خمس سنوات ليقوم بالتفتيش على أملاك الملك . . . ولم يكن الملك يملأ شيئاً في « مون فليت » سوى

حانة « هوائى نوت » ، أما بقية الأراضى الواقعة فى زمام القرية فقد كانت مملوكة لعائلة « الموهون » .. . ومع ذلك فقد كان هذا الموظف الكبير يحضر الى القرية ليعمل مزادا على تأجير الحانة لمدة خمس سنوات تالية .

وكان « الزفير بلوك » يدير هذه الحانة منذ زمن طويل .. وفي كل مرة كان يحضر فيها الموظف الكبير ليقيم المزاد ، كان المزاد يرسو عليه ويتولى « الزفير » ادارة الحانة لخمس سنوات تالية .

وفي اليوم الموعود رأيت الموظف الكبير راكبا حصانه ويسير في الشارع الرئيسي بالقرية .. فأسرعت بابلاغ « الزفير » ، الذي طلب مني أن أذهب الى بيت خالتي وأطلب منها أن تعطيني « شمعة » .. وكانت قد مررت فترة طويلة منذ أن طردتني خالتي من بيتها .. ومنذ ذلك الحين لم أذهب الى بيت خالتي أبدا .. ومع ذلك فقد أعطتني خالتي الشمعة التي طلبتها وهي تتقول

انها تأمل ان تبعث هذه الشمعة بعض الضوء في قلبي
المظلم !!

وعندما عدت الى الحانة ، رأيت حسان الموظف الكبير مربوطا خارج بابها ، وقد تجمع بعض الناس من اهالي القرية .. وفي الداخل رأيت الموظف الكبير جالسا الى المنضدة الرئيسية واعمه وجبة جديدة من الطعام اعدها له « الزفير » وقدمها اليه ..

واعطيت « الزفير » الشمعة التي طلبها مني فوضعتها في منتصف المنضدة .. وهنا قام الموظف الكبير برشق دبوس على بعد بوصة واحدة من أعلى الشمعة !

وكان طريقة المزاد تتبع لاي شخص ان يدخل المزاد ويعرض مبلغا أكبر من المبلغ الذي يعرضه المزايدين الآخرين .. ويظل المزاد قائما طالما ان الدبوس المرشوق ؛ في جسم الشمعة موجودا في مكانه .. وتظل الشمعة مشتعلة الى ان تسريح المنطقة المرشوق فيها الدبوس

ويسقط الدبوس من جسم الشمعة ، وعندئذ يرسو
المزاد على آخر شخص تقدم بسعر منافس .

وما أن انتهى الموظف الكبير من تناول طعامه حتى
بدأ العمل :=ى الفور وأشعل الشمعة .. وعرض
« الزفير » مبلغ اثنى عشر جنيها كايجار سنوى لحانة
« هوائى نوت » .. وهو نفس المبلغ الذى كان يدفعه فى
ايغاراته المسابقة .. وجلس الجميع حول المنضدة
يتحدثون فى مختلف الأحاديث بينما ظلت الشمعة
مشتعلة ، ونارها تقترب من المنطقة التى رشق فيها
الدبوس ..

وفجأة فتح باب الحانة ودخل « ماسكينو » واتجه
 نحو المنضدة التى يتحلق الجميع حولها .. وهنا وقف
« الزفير » وحاول أن يمنعه وقال بصوت مرتفع :

— أنت لست صديقا لي يا « مستر ماسكينو » ..
وسأكون سعيدا لو أريتني ظهرك بدلا من أن ترينى وجهك
.. وانى امنعك من الجلوس الى هذه المائدة !



واخذت الشمعة المشتعلة تذوب ببطء

كنت أعرف تماماً ما يدور في ذهن « الزفير » في تلك اللحظة ، فقد كانت هذه المائدة بالذات هي التي مددوا عليها جثة ابنه « دافيد » بعد مقتله .. وعلى أية حال فان « ماسكيو » لم يهتم بتهديدات « الزفير » ويتقدم إلى الموظف الكبير وسأله :

ـ « واؤن أيها الموظف الكبير .. انى ارى نار الشعلة وقد اوشكت على الوصول إلى المنطقة التي رشق فيها الدبوس .. وانى اريد ان انتهي من عملى هنا بسرعة لأن على ان اذهب الى « برينبورت » لاداء بعض الاعمال الأخرى .. ما هو اخر مبلغ تقدم به اي شخص في هذا المزاد ؟ .. !

وشرح الموظف الكبير ماتم حتى الآن من شئون المزاد .. وقال ان « الزفير » عرض اثنى عشر جنيها كايجار سنوى للحانة .. واذا سقط الدبوس قبل ان يتقدم شخص بعرض مبلغ اعلى ، فان المزاد فى هذه الحالة سيرسو على « الزفير » باعتباره صاحب العرض الآخر ..

وبعد أن انتهى الموظف الكبير من هذا الشرح .
طلب من « الزفير » أن يأمر بإعداد حصانه للرحيل
لأنه سيغادر الحانة فور سقوط الدبوس ورسو المزاد
عليه . . . فأمر « الزفير » على الفور بتجهيز حصان
الموظف الكبير للرحيل . . . وحمل الجميع في لمسيب
الشمعة وهو يقترب من الدبوس . وهذا قلل « ماسكيو »
يصوت مرتفع :

— لنى أعرض ١٢ جنيها ليجارا ستناوا لهذه
الحانة . . .

لم يلتفت « الزفير » إليه . . . ولكنه قال بصوت
جهوري :

— وأنا أعرض ٢٠ جنيها .

قال « ماسكيو » :

— وأنا أعرض ٢١ جنيها

ومكذا استمرت المزايدة بين الرجلين إلى أن قال
« ماسكيو » :

- ٩١ جنيها ١٠٠

وهنا وقف الموظف الكبير مندهشا وصاح فيما

- هل جنتـما !؟ .. ما هذا الذى يحدث !؟ .. يا « مـستـر الزـفـير بلوك » احتفظ بـنـقـودـك ولا تـغـامـر بـها ..
وـاـذا كـان هـذـا الجـتـلـمان يـوـغـب فـى اـدـارـة هـذـه الحـانـة
مـهـما كـان الثـمن الـذـي سـيـدـفعـه فـدـعـهـا لـه .. وـسـوـفـ
اتـيـح لـكـ الـحـصـول عـلـى حـانـة « المـحـصـان الـأـبـيـض » فـى
بلـدـة « بـرـيدـبـورـت » .. وـهـى أـفـضـل بـكـثـيرـ من حـانـة
« هـوـاـي نـوت » وـتـدر رـبـحا أـكـبـر ..

ولـكـ « الزـفـير » لم يـلـتـفـت إـلـى ماـقـالـهـ المـوـظـفـ الـكـبـيرـ
وـقـالـ فـى ثـيـاتـ :

- اـنـى اـعـرـض ١٠٠ جـنـيهـ !

فـقـالـ « مـاسـكـيـو » عـلـى الـفـوـرـ :

- ١٣٠ جـنـيهـ ..

واشتعلت المزايدة مرة أخرى إلى أن قال «الزفير» :

- ١٩٠ جنيه ..

فرد عليه « ماسكيو » :

- ٢٠٠ جنيه ..

وهنا سقط الدبوس من جسم الشمعة ! ..

وعندما وقف « الزفير » تصورت للحظة أنه سوف ينقض كالوحش الكاسر على « ماسكيو » ويقتلنه ..
ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك وظل محظوظاً بهدوئه ولم يقل كلمة واحدة .. وعندئذ قال له الموظف الكبير وهو يضع يده فوق ذراعي :

- هاه يا ماستر « الزفير » .. هل تريد أن تأخذ حانة « الحسان الأبيض » في بلدة « بريديبورت » ؟ ..
ان هناك مدرسة جيدة يستطيع ابنك هذا أن يلتحق بها .

وهنا أجاب « الزفير » :

ـ أشكر لك لطفك وكرمك .. ولكن عندما أغادر
هذا المكان فلن أديرك حانة أخرى ..

واستدار الموظف الكبير ، وشرع في الخروج من
الحانة .. وسمعته وهو يركب حصانه وينطلق به في
الشارع الرئيسي بالقرية ..

اما « الزفير » فقد ظل جالسا الى المائدة واضعا
رأسه بين يديه ..

الفصل الثامن

شخص يتصنت بباب ..

تلقى « ماسكيو » نظرات غاضبة من جميع رجال القرية ووجهت اليه النساء كلمات قاسية حين كان يسير في الشارع الرئيسي بالقرية عصر هذا اليوم .. لقد غضب الجميع عندما علموا بما فعله في المزاد ..

ولعدة أيام تالية ، لم يجسر « ماسكيو » على السير في هذا الشارع .. وقال بعض الرجال الذين كانوا يراقبونه انه سافر الى « واى ماوث » ليقابل « رجال الضرائب » .. وانه طلب منهم ان يرسلوا

فرقة منهم الى « مون فليت » حتى يقبحوا على المهربيين
في أول عملية يقومون بها ..

وعندما وصلت هذه الأخبار الى اسماع « الزفير »
قرر ان من الأفضل التوقف عن عمليات التهريب لفترة
حتى ينجلى الأمر .. ومع ذلك ففي مساء احد الأيام
أخبرنى « الزفير » بأن شحنة من البضائع قد وصلت
وان علينا أن نستلمها ..

وقال « الزفير » وهو يشرح تفاصيل العملية :

- وصلتني أخبار بأن الرجال لا يستطيعون
الاحتفاظ بتلك البضائع في بلدة « سان مالو » لفترة
أطول من ذلك .. ونظرا لأن « ماسكيو » أصبح الآن
يراقب جميع التحركات .. فلن استطيع احضار هذه
البضائع الى « مون فليت » ولن استطيع وبالتالي
اخعادها في المخزن المسرى بمقبرة « الموهون » ..
ولهذا فقد ابلغت السفينة « بون ادفنشر » التي تحمل
هذه البضائع أن تتوجه شمالا الى منطقة تسمى « كهف

بيجروف » وهي منطقة تقع بالقرب من « رأس هور » .. وكان الرجال يستخدمون هذا الكهف لفترة طويلة قبل أن يستخدم المخزن السرى بمقبرة « الموهون » .. يمكننا أن نخفي البضائع فى ذلك الكهف لفترة .. وعلينا أن نرحل إلى « رأس هور » حتى نصل إليها فى الساعة الخامسة من صباح الغد .. أنى أود أن نصل قبل ذلك لأن الشمس تشرق فى الساعة الخامسة .. ولكن السفينة لن تستطيع الوصول إلى هناك قبل الخامسة ..

فى تلك اللحظة بالضبط شعرت بلفحة من الهواء البارد تهب على ظهرى .. فالتفت إلى الخلف لأرى ما إذا كانت النافذة مفتوحة وتسرب منها هذا الهواء البارد ، ولكنى رأيت النافذة مغلقة .. فلابد أن الهواء قد تسرب من الباب بعد أن فتح .. وقعت على الفور واتجهت نحو الباب فوجده مغلقا ، ولكنى شركت فى الأمر وفتحت الباب بسرعة وخرجت إلى الشارع فلم أتمكن من رؤية أى شيء فى الظلام لأن الليلة كانت غير

أن نسير على شاطئ البحر لنبحث عن بيت صغير يكون بالقرب من منطقة « كهف بيغروف » التي تقع بالقرب من البحر . . . إن هذا الكهف يصلح تماما لاختباء يضائعا . . . لقد كان المهارون يستعملونه منذ مئات السنين . . !

ولم أقل شيئا . . ولزالت الصمت . . وبالرغم من أنني قد سمعت جميع كلمات « الزفير »، كلمة كلمة . . إلا أن ذهني كان سارحا في أشياء أخرى . . وعندئذ قال « الزفير » :

— يبدو أنك مقعد قليلا يا جون . . هيا اذهب ونم على سريرك بعض الوقت !

وبالفعل كنت متعبا لأسباب أخرى تطير النوم من عيني . . كنت حزينا لاضطرارى إلى مغادرة « مون فليت » وبالتالي فراق « جريسن هاسكيو » الذي أحببته من كل قلبي . . والتي كثيرة ما كنت أقابلها وهي تتجلو

بداخل المائة .. واعتقد ان علينا ان نشعل شمعة
ونفتش جميع الحجرات حجرة حجرة ..

قال « الزفير » وهو غير مقتطع تماما :

ـ اعتقد ان الهواء البارد الذى هب عليك هو
الذى حرك الباب واغلقه .. ومع ذلك فلا بأس من ان
نشعل ما تقول ونشعل شمعة .. هيا .. !

ودرنا بالشمعة وفتشنا كل ركن في المائة ، ولم
نعثر على شيء .. فضحك « الزفير » قليلا وطلب ان
نعود الى الجلوس جوار المدفأة .. وعاود « الزفير »
حديثه قائلا :

ـ لم يعد امامنا سوى اسبوعين فقط حتى نغادر
هذه المائة .. انه لأمر محزن ان تصيبع أبواب هذه
المائة موصدة في وجهي .. لقد توارثت عائلتي حق
ادارة هذه المائة لاكثر من مائة سنة .. ولا استطيع
الآن ان اعمل شيئا لاستعادتها .. ولهذا فعلينا في الغد

أن نسير على شاطئ البحر لنبحث عن بيت صغير يكون بالقرب من منطقة « كهف بيغروف » التي تقع بالقرب من البحر . . . إن هذا الكهف يصلح تماما لاختفاء يضائعنا . . . لقد كان المهارون يستعملونه منذ مئات السنين . . . !

ولم أقل شيئا . . . ولزالت الصمت . . . وبالرغم من أنى قد سمعت جميع الكلمات « الزفير »، كلمة كلمة . . . إلا أن ذهنى كان سارحا فى أشياء أخرى . . . وعنده قال « الزفير » :

— يبدو أنك مقعد قليلا يا جون . . . هيا اذهب ونم على سريرك بعض الوقت !

وبالفعل كنت متعبا لأسباب أخرى تطير النوم من عيني . . . كنت حزينا لا ضرارى إلى مغادرة « مون فليت » وبالتالي فراق « جرينس هاسكيو » التي أحببتها من كل قلبي . . . والتي كثيرة ما كنت أقابلها وهي تتجلو

في « غابة مانور » القريبة من بيتها .. وكنا نتجول
سويا حين يكون أبوها غائبا عن البيت .. والحقيقة
أني أخبرت « جريس » بكل شيء .. لأنني كنت أثق
فيها ثقة لاحد لها .. وأعلم تماما أنها لايمكن أن تبوج
باسرارى لأى أحد كان حتى لا يبيها .. أخبرتها عن
المر المسرى والمخزن وعن أعمال تهريب البضائع التي
نقوم بها .. وعندما أخبرتها بكل هذه الأسرار ،
التفت إلى وقالت :

ـ سوف أشعل شمعة وراء زجاج نافذة حجرتى
في كل ليالي الشتاء لعلك تراها وستترشد بها وانت
تعمل في البحر ..

وبالفعل نفذت « جريس » وعدها .. ولاحظ كثيرون
من البحارة أن ضوء هذه الشمعة يظهر من ناحية
البحر ، وان هذا الضوء يرشدهم عندما يقتربون من
الشاطئ ، ولذلك فقد سماه البحارة « منارة ماسكيو »
.. ولكن أحدا لا يعرف السبب الحقيقي لوجود تلك

الشمعة المضيئة التي تشعلها « جريس ماسكيو » كل
ليلة .

والآن . . تقدر أن اغادر « مون فليت » . . وربما
لن استطيع أن أقابل « جريس » أو أراها بعد ذلك أبداً
. . ولهذا قررت أن أذهب في الصباح إلى « غابة مانور »
المقريبة من بيتها . . لعلى أراها وأخبرها بكل شيء ! . .



الفصل الماتسعا

« جريس ماسكيو » ..

كان اليوم التالي من الأيام التي سأتذكرها طوال حيائي .. ولن أنسى أبداً ماحدث فيه ..

في نحو الساعة العاشرة صباحاً توجهت إلى « غابة مانور » القريبة من بيت « جريس » .. وكان هناك ثقب على جانب القل المواجه للبيت يكفي لكي اختفي فيه عن الانتظار بالرغم من أنني اتمكن من رؤية كل شيء من هناك .. وظللت أرقب البيت لعلى أرى « جريس » وآنا فيها ..

كان الصباح مشرقا ينور الشخص الدافئة . . وكان
الهواء لطيفا يحرك براعم الاشجار وأوراقها الصغيرة
الخضراء التي أخذت تنبت على أغصانها . . ويلاعب
الأعشاب وزهورها المصفراء الجميلة . . واثناء تمعنِ
بهذا المنظر فتحت العلبة الفضية التي أعلقها حول
رقبتي وقرأت أول سطر في الورقة الصغيرة :

قد يعيش الرجل ثمانين عاما . . .

وعندئذ بدأت أضحك على نفسي وعلى أحلامي
الغريرة الماضية . . أحلامي عن العثور على جواهر
وعلى صناديق مملوكة بالذهب . . وعن الجوهرة
الثمينة التي خبأها «جون مومن» ، ذو اللحية
السوداء في مكان ما . . !

لن أكتب هنا كل مادار من احاديث بيني وبين
«جريس» ، عندما تقابلنا . . وسوف اشير فقط الى

ماقالته « جرييس » عن حزنها بسبب مغادرته « الزفير »
لحانته وابتعاده عن « مون غليت » .. وعن حزنها
الأكبر لأنى سوف أفارقها وابعد .. ولم تتكلم « جرييس »
بأى شيء ضد أبيها ، ولكنى لاحظت مدى الألم الذى
سببه لها تصرف أبيها ضد « الزفير » ..

والحقيقة أن الحزن الذى ابدته « جرييس » على
هذا النحو كان من أسباب سعادتى .. لأنى تأكدت
الآن من أنها تحزن لفراقى .. ولأنى أصبحت ذا
أهمية عندها .. وبعد فترة بدأت « جرييس » تقول
بعض الأخبار عن أبيها ..

قالت انه فى التاسعة من مساء الأمس وهو نفس
الوقت الذى كنت أجلس فيه مع « الزفير » لنتحدث جوار
المدفأة .. قام أبوها من مقعده .. وقال أنه سوف
يخرج من البيت ليتنزه قليلا في الحديقة .. وكان
هذا أمرا غريبا لأن الليلة كانت باردة .. وبعد نحو
ساعة من غيابه خارج البيت ، عاد مسرعا وقال ان عليه
أن يسافر إلى « واى ماوث » الآن فورا .. وانه من

المحتمل أن يغيب هناك نحو يومين . وليس معطفه
وقيعته وانصرف ..

كانت « جريس » مدهشة وهي تعكى لى كل هذه
الأخبار .. ولكن بذات اخاف وافكر في الأمر بجهنية
.. ترى ما الذى دفع « ماسكيو » ليتصرف على هذا
النحو ويصادر إلى « راي هاوث » بكل هذه السرعة !؟

واخيرا أخبرتني « جريس » ، بان الوقت قد تأخر
وحان موعد عودتها إلى بيتها .. وودعتها ..

وانصرفت أخذًا طريقي إلى حانة « هواي نوت »
.. والحزن يملأ قلبي .. وبالرغم من انى لم اكن اعرف
 شيئاً عما يخبئه لى المستقبل ، الا انى احسست بآنسى
سأ تعرض من الآن إلى الكثير من المتابع .. !



الفصل العاشر

القبض على ((ماسيكيو)) ..

غادرنا - أنا و « الزفير » - حانة « هواي نوت » قبل الموعد الذي حدده « الزفير » من قبل . ذلك لأن أخبارا وصلته من بحارة السفينة « بون اوفنشنر » بان باستطاعتهم الوصول قبل الموعد الذي حدده من قبل بنحو ساعتين . وعلى هذا فقد غادرنا « مون فليت » ووصلنا إلى أعلى التل المجاور لها في نحو السابعة مساء . ومن هناك بدأنا رحلتنا إلى « راس مور » التي تبعد عن هذا التل بنحو خمسة عشر ميلا ..

وحل علينا الظلام بعد مسيرة حوالي نصف ساعة

.. ولكن الليلة لم تكن مظلمة تماما مثل ليلة أمس
فقد كانت السماء صافية وكان الهواء لطيفا ودافئا ..
ووصلنا رحلتنا في صمت ، ورأينا عدة علامات
بيضاء على الطريق .. وهي علامات وضعها « رجال
الضرائب » .. وأخيرا وصلنا إلى مكان واسع
تغطيه الأعشاب .. وعلمت من « الزفير » أن هذا المكان
هو قمة « رأس هور » ..

وتعتبر « رأس هور » أعلى نقطة على طول
الساحل .. وكان جانبها المواجه للبحر عبارة عن
تكوين صخري شديد الانحدار ، بل ويکاد يكون عموديا
على مياه البحر وأمواجه الصاخبة .. وكان هناك
طريق ضيق جدا ووعر جدا يلف حول هذا التكوين
الصخري من جانب إلى جانب .. وهو طريق منحدر
ما بين قمة الرأس وأرض الشاطئ ..

واستغرق هبوطنا عبر هذا الطريق نحو ربع ساعة
حتى وصلنا في النهاية إلى أرض الشاطئ ..

ولم نكن وحدنا هناك . . . كان هناك نحو عشرين
رجالاً في انتظارنا . . . كان بعضهم يقف على الرمال . .
وبعضهم الآخر يجلس فوق الصخور . . . كما كان بعض
منهم فوق ظهور الخيول . . . وكانوا جميعاً يتحدثون
بأصوات خفيفة . . .

جلست على الأرض لشدة الحساسية بالتعب
والارهاق . . . وبعد لحظة رأيت « راتسي » قادماً نحوه
وقال :

— أهلاً يا جون . . . أنت و « الزفير » مستغادران
« مون فليت »، وتتركاني وحدي . . . كثيراً ما فكرت في
أن أرحل أنا أيضاً . . . ولكنني لا أعرف من ذا الذي
سيعتقلي بالقيود من بعدي !

قلت وأنا أغالب رغبتي في القوم :

— لا تقلق . . . فسوف يجدون شخصاً آخر يحل
مكانك .

ومع ذلك فقد ظل « راتسى » يواصل حديثه ، وتكلم في موضوعات عدة ولكنى لم اتنبه الى اغليها لأنى كنت شبه نائم .. وآخرًا اطلقت المصيحة المتفق عليها كاشارة للتحرك .. فقام جميع الرجال وساروا تجاه الشاطئ .. وعندما وصلنا الى هناك كان أول القوارب قد وصل الى الشاطئ وسمعت وقع أقدام البحارة وهم يخوضون مياه البحر جوار الشاطئ ليربطوا قواربهم .. ثم بدأ العمل بهمة ، وأخذ الرجال يتحركون عابين القوارب وارض الشاطئ يحملون البضائع الى البر ، ثم يحملونها فوق ظهور الخيل ، وكانت هذه العمليات تتم في اضاء صفراء خافتة تصدر من مصابيح صغيرة يحملها الرجال ..

وبعد نحو ساعتين انزلت آخر قطعة من البضاعة الى البر ، وببدأ الرجال يعودون الخيول المحملة بالبضائع للرحيل ، وحمل رجال آخرون بعض الصناديق والبراميل على ظهورهم ، وببدأ الجميع في التحرك نحو الطريق الضيق المنحدر الذي يصل بين ارض الشاطئ وقمة « رأس هور » العالية .

وَمَا أَنْ وَصَلْنَا إِلَى بُدَائِيَّةِ هَذَا الْمَطْرِيقِ الصَّاعِدِ ،
حَتَّى رَأَيْتَ شَيْئًا مَا يَتَحَرَّكُ خَلْفَ أَحَدِ الْأَشْجَارِ ٠٠
وَرَأَى بَعْضُ الرِّجَالِ مَا رَأَيْتَ ٠٠ وَحَدَثَ صِبَاحٌ وَهَرَجَ
٠٠ وَانْزَلَ الرِّجَالُ مَا كَانُوا يَحْمِلُونَهُ مِنْ بَضَائِعٍ وَاخْذُوا
يَجْرُونَ نَحْوَ الشَّجَرَةِ ٠٠ وَفِي الْحَالِ ظَهَرَ خَلْفَ الشَّجَرَةِ
شَخْصٌ مَا انْطَلَقَ يَجْرِي هَارِبًا بِأَقْصَى مَا يُسْتَطِيعُهُ مِنْ
سُرْعَةٍ ٠٠ وَكَانَ « دَامِنْ » وَ « جَارِيتْ » أَقْرَبَ رِجَالَيْنِ
لِلرِّجُلِ الْهَارِبِ ٠٠ وَانْطَلَقَا خَلْفَهُ بِخُطُواتٍ أَسْرَعَ
وَأَقْوَى ٠٠

وَنُوْجِئْتُ بِإِنَّ الرِّجُلِ الْهَارِبِ هُوَ « مَاسِكِيُو »
بِعِينِهِ ٠٠ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجْرِي هَرِبًا مِنَ الْمَوْتِ ٠٠ إِنَّ
الْأَمْسَاكَ بِهِ هُوَ نَهَايَتَهُ الْمَحْتُوْمَةِ ٠٠ وَلِذَلِكَ فَقَدْ بَذَلَ جَهْدًا
جَبَارًا فِي الْجَرِيِّ ٠٠ وَلَكِنَّ « دَامِنْ » وَ « جَارِيتْ »
كَانَا أَسْرَعَ مِنْهُ وَأَكْثَرَ شَيَابًا ٠٠ فَلَحِقَا بِهِ وَأَمْسَكَاهُ ٠٠

وَنَظَرْتُ فِي تِلْكَ الْمَلْحُظَةِ إِلَى وَجْهِ « الزَّفِيرِ » ٠٠ بَدَا
وَكَانَهُ كَانَ يَتَوَقَّعُ حَدَوْثَ خَطْرُوا مَا فَاسْتَعْدَ لَهُ مِنْ الْبُدَائِيَّةِ
٠٠ لَقَدْ تَحَقَّقَتْ أَمْنِيَّةُ حَيَاتِهِ ٠٠ وَهَا هُوَ « مَاسِكِيُو »

وقد وقع في المفخ كحيوان ذليل . . . وكدت أقرأ على وجه « الزفير »، قرار الموت . . . انتقاماً من « ماسكيو » . . .

وتقدم « دامن » و « جاريت » وهما يمسكان « ماسكيو » من ذراعيه ويدفعانه دفعاً إلى الأمام . . . وأصابني المنظر ببعض الاستياء ، فقد كانت هذه أول مرة أرى فيها رجلاً يعامل على مثل هذا النحو من الأذلال والمهانة . . . لقد فقد « ماسكيو » قبعته وتناثر شعر رأسه على وجهه الأبيض الشاحب . . . وصاحت عدة أصوات غاضبة :

— اقتلوه ! . . .

— اشنقوه ! . . .

— اطلقوا عليه النار ! . . .

— اقذفوا به إلى البحر من أعلى قمة « رأس هور » ! . . .

وخلال هذا الصباح ، شاهد أحد الرجال مسدساً في جيب المعطف الذي كان يرتديه « ماسكيو »، فتقدم

على الفور وأخرج المسدس والقاه على الأرض بجانب
قدمي « الزفير » . . . وهذا انطلق صوت « الزفير » وكان
أعلى الأصوات جميعا :

— لن ينتقم منه أحد سواى . . . لا تذكرون أنى
طلبت منكم أن تتركوا أمر هذا الرجل لى وحدى . . .
لقد قتل ابني الوحيد . . . وأنا وحدى الذى ساتعامل
معه وأعرف كيف انتقم . . . هيا . . . أوثقوا هذا الرجل
من يديه وقدميه والقوه على الأرض هنا . . . وعليكم
الآن أن تذهبوا قبل أن يظهر نور الصباح . . . والوقت
ضيق . . . هيا ! . . .

وخلال دقائق تحرك الجميع نحو الطريق المصاعد
مرة أخرى . . . الخيل المحملة في المقدمة . . . وخلفها
الرجال الذين يحملون الصناديق والبراميل على
ظهورهم . . . ذهب الجميع وبقي ثلاثة اشخاص فقط على
أرض الشاطئ :

« ماسكيو » و « الزفير » وأنا . . .
ومسدس كان ملقيا على الأرض . . . !



الفصل الحادى عشر

مصرع ((ماسكيو)) ..

فِي الْحَقِيقَةِ أَنِّي كُنْتُ أُنْوِي الْلَّاحَقَ بِالرِّجَالِ ، حَتَّى
لَا يَبْقَى بِهَذَا الْمَكَانِ وَأَرِي الْمُنْظَرُ الَّذِي أَتَوْقَعُ حَدُوثَهُ .
وَقَدْ انْصَرَفَتْ بِالْفَعْلِ ، وَلَكِنْ « الزَّفِيرُ » نَادَانِي :

— انتظِرْ ياجُون .. لَا تَذَهَّب .. فَقَدْ تَكُونُ مَفِيدًا

وَطَبِيعًا تَوَقَّفْتُ وَانْتَظَرْتُ .. وَأَخْذَتْ أَخْمَنْ كَيْفَ
سَأَكُونُ مَفِيدًا .. وَأَيْةٌ فَائِدَةٌ تَرْتَجِي مِنِّي فِي مُثْلِ هَذَا
الْمَوْقِفِ ..

كَانَ « ماسكيو » جَالِسًا فَوقَ الرِّمَسَالِ ، وَظَهَرَهُ

مسنود على صخرة ، ومكتوف القدمين باحكام ، كما
أن يديه كانتا موثوقتين خلف ظهره .. ونظرات عينيه
موجهة في ذلة نحو الأرض .. أما وجهه فكان ناصع
البياض من شدة الشحوب ..

وكان « الزفير » واقفا قبالته وهو يحمل مصباحا
خافت الضوء وينظر اليه في احتقار شديد .. وكانت
تصل إلى أسماعنا في البداية أصوات وقع اقدام
الخيول المحملة بالبضائع الثقيلة وهي تدب فوق
صخور الطريق الصاعد .. الا ان هذه الأصوات كانت
تخف بالتدريج إلى أن تلاشت تماما بعد أن انحنى
الطريق تجاه البحر .. وحل الصمت الذي يغرس
وراءه مايغرس .. وظل « الزفير » موجها نظراته نحو
« ماسكيو » الذي يحاول التظاهر بأنه شجاع وقوى
وقال :

ـ أنا موظف لخدمة القانون .. وإذا لم تفك
قيودي وتطلق سراحى فسوف اطالب بشنقك !

كانت كلماته شجاعة فعلاً .. ولكنها شجاعة غير
بنقية لأن صوته كان ضعيفاً ومرتعشاً ..

وأجاب « الزفير » بثبات كما لو كان قاضياً يحاكم
سجينًا :

- لاتحدثني عن الشنق والشنوقين .. انك بعد
الآن لن تستطيع أن تشنق أحداً .. ولمن ترى بعد الآن
إنساناً شنوقاً .. لقد كنت ترقب الشمعة التي رشق
فيها الدبوس في حانة « هواي نوت » .. وانتظرت
حتى أوشك الدبوس على السقوط وضررت ضريبك
رأخت الحانة مني وطردتني من بيتي .. وسوف ترقب
في هذا الصباح شمعة أخرى فيها دبوس مرشوق ..
وعندما يسقط هذا الدبوس فسوف أصوب مسدسي
هذا نحو رأسك .. واقتلك كما لو كنت اتخلص من
وحش كاسر !

وأمسك « الزفير » بشمعة ، ورشق فيها دبوساً على
بعد بوصة من قمتها ، وأوقفها على الأرض أمام

« ماسكيو » .. والحقيقة انى بدت اشعر بالخوف والاضطراب .. فانا لا احب « ماسكيو » .. ولو سالوني منذ ساعة فسوف اصبح باعلى صوتي : اقتلوه .. اطلقوا عليه النار ! .. ولكنى الان اصلى من اجله واتمنى لو انه يتمكن من الفرار والافلات من هذا المصير التعس .

وبناء الشعاعات الاولى من نور الصباح تتسلل الى صفحة السماء من جهة الشرق .. واختفت النجوم تماما .. ولم يظهر من الالوان غير اللون الرمادى الذى ساد على كل شيء .. فالسماء رمادية .. والصخور رمادية .. والاشجار رمادية .. اما اكثرا الاشياء رمادية فقد كان وجه « ماسكيو » الذى تبلد تملاما وظهرت خطوط داكنة تحت عينيه ، وتجددت بعض قطرات من الدم على جانب عن وجهه اذ يبدو انه جرح اثناء القبض عليه .

وظل « ماسكيو » مرخيا نظره الى الارض .. ثم رفع عينيه وصوبهما نحوى بنظرات متسللة .. نظرات

تدل على العجز والاستسلام . . تماما مثل نظرات حيوان موشك على الذبح . . وحتى تلك اللحظة ، لم أكن أرى في « ماسكيو » أية ملامح من ابنته « جرييس » . . كما لم أكن أرى في الابنة أية ملامح عن أبيها . . ولكن في تلك اللحظة بالذات أحسست كأن « جرييس » نفسها تنظر إلى بعيون أبيها . . وزاد هذا الاحساس من اضطرابي وجعلني لا أرغب في مشاهدة ما سوف يحدث ولا استطيع أن أتحمله . .

وساعد الهواء على سرعة ذوبان الشمعة . . .
واخذت الشعلة تقترب من المكان - الذي رشق فيه
الدبوس . . . واخذت النهاية تقترب هي الأخرى مع
ذوبان الشمعة . . . وكان « ماسكيو » عرضاً نظرات
عينيه الآن وهو يشعر بأن حياته تذوب مع ذوبان الشمعة
 قطرة قطرة . . . واخيراً بـ « ماسكيو » يتكلم بصوت
مستعطف لا يدعى الشجاعة :

هذه الآية من أبيها وهو الشخص الوحيد الذي يرعاها
ويحميها ؟ . . انظر الى حال تلك المسكينة حين
يملون اليها جثة أبيها غارقة في الدماء . .

ورد « الزفير » على هذا الاستعطاف قائلا :

- وانا ايضا كان لى ابن وحيد . . وقد حملوا
الى جثته غارقة في الدماء . . فمن ذا الذي قتله ؟ . .
وبأى مسدس قتل ؟ . . الا تعرف ؟ ! . . انه نفس
المسدس الذي ساستعمله الان في قصف حياتك . . هيا
اقم صلاتك وتقرب الى الله . . لم يعد امامك سوى وقت
قصير تؤدي فيه صلواتك . .

وانحنى « الزفير » . . والقط المسدس الملقمى
على الأرض وأعده للضرب . . وادار ظهره « ماسكيو »
وأخذ يتمشى امامه جيئة وذهابا . . وكان عن الواضح
ان كلمات الاستعطاف التي قالها « ماسكيو » قد جعلت
« الزفير » أكثر غضبا . . لأنها ذكرته بمقتل ابنه
« دافيد » . . ولكن هذه الكلمات نفسها لمست شفاف

قلبي . . وشجعتني على أن أتقدم إلى «الزفير» وأرجوه
أن يصرف النظر عن قتل هذا الرجل . . وتركني
«الزفير» حتى أكملت كلامي ثم قال :

— ان لك قلبا طيبا يابني . . وهذا ما جعلني أحبك
.. ربما كنت مصر على قتل «ماسكيو» لأنني كنت
غاضبا عليه . . ولكنني الآن في موقف حرج للغاية . .
ولا أتصور كيف أقدم على قتل رجل مكتوف اليدين
والقدمين ومستسلم على هذا النحو ، حتى ولو كان
هذا الرجل قد قتل عشرين من أبنائي . . ولكنه تعلم
أن الرجال قد تركوه لانتقام منه بنفسه . . وكانوا
سيقومون بقتله بأنفسهم لو لا تدخلتى . . والآن إذا
أطلقت سراحه وتركته إلى حال سبيله فسوف يقوم هو
 بشنق الرجال جميعا . . هل يرضيك هذا ؟ . . ليس
أمامي سوى أن أقتله !

وبالرغم من ذلك ، فقد واصلت رجائي «لالزفير»
وانا امسك ذراعه بين يدي واستعطفه لكي ينقذ حياة

« ماسكيو » .. ولكن يبدو أن كل هذا الرجاء كان بلا
جدوى ..

اما « ماسكيو » فقد ظلت نظراته مشتتة بين الشمعة
وبين اطراف قرص الشمس التي بدأت في الظهور من
ناحية الشرق .. وبدأ رأس الدبوس يتحرك ببطء مع
ال قطرات الذائبة التي اخذت تهبط به رويدا رويدا ..
لقد حانت اذن لحظة النهاية واخذ « ماسكيو » يبكي
مستعطفا لانقاذ حياته .. عرض الف جنيه .. شم
خمسة الاف .. ثم عشرة الاف كفدية لانقاذ حياته ..
ووعد باعادة حانة « هواى نوت » الى « الزفير » ..
بل وعرض ان يغادر « مون فليت » بصفة نهائية ولن
يعود اليها ابدا .. وكانت الدموع تنهمر من عينيه
وتسلل على جديه مع كل كلمة كان يقولها ..

ولم يستجب « الزفير » الى اي عرض من تلك
العروض ، ولم يلآن قلبه امام كل هذا الاستعطاف ..
بل امسك بالمسدس وجهزه لاطلاق النار .. فاغلقـت
عيني ووضعت اصبعي داخل اذني حتى لا اسمع ولا

أرى هاسوف يحدث عندما يسقط الدبوس تماماً عن
جسم الشمعة . . . وبعد لحظة فتحت احدى عيني ورأيت
الدبوس وهو يسقط على الأرض . . . ورأيت « الزفير »
وهو يصوب فوهة المسدس الى رأس « ماسكيو » . . .
وفي لمح البصر انقضت على « الزفير » لامنه من
القتل . . . واشتبت معه وانا أحارب ابعاد المسدس من
يده . . . وفي هذه الثناء انتطلق المسدس بطريقة لا
اعرفها ، وذوى صوت الطلقة في أرجاء الشاطئ . . .
وعندئذ توقف الاشتباك ونظرنا ناحية « ماسكيو » . . .
فلاحظت ان شيئاً من السرور قد غمر ملامح وجهه . . .
وانه يتوجه بنظرات عينيه الى اعلى قمة الطريق الصاعد
. . . لعله كان يشكر السماء على تدخلها لإنقاذه في آخر
لحظة !

ولكن الذي حدث كان شيئاً مختلفاً تماماً . . .
في مجرد ان ذوى صوت طلقة المسدس . . . سمعنا
اصوات العديد من الرجال الذين كانوا ينادون بعضهم

بعضنا . . ونظرنا نحو قمة الطريق الصاعد فرأينا نحو
عشرين جنديةاً من جنود الملك يحاصروننا من فوق
القمة ويصوبون أسلحتهم نحونا . .

لقد فهمنا الآن ماحدث بالضبط . . فقد اتفق
« ماسكيو » مع هؤلاء الجنود على أن يهاجمونا عندما
يعطيمهم إشارة من مسدسه . . وكانت الخطة أن يقبض
هؤلاء الجنود على جميع الرجال الذين اشتركوا في
عملية تهريب البضائع أثناء قيامهم بالتهريب من البحر
إلى البر . . ولكن نظراً لأن العملية قد تمت في وقت
مبكر بسبب وصول السفينة قبل موعد ما كان الوقت
المتفق عليه بين « ماسكيو » والجنود لمبدء الهجوم قد
تأخر بنحو ساعتين بعد اتمام عملية التهريب . .

نظر « الرزفير » نحو الجنود . . وصاح قائهم :

— استسلموا . . إننا نقبض عليكم باسم الملك . .

وقال « الرزفير » :

- لقد ضعنا .. انهم جنود الملك فعلا .. ولكن قبل أن نموت ، فلا بد أن يموت هذا الرجل قبلنا ..

وتقىد إلى « ماسكيو » ليضربه على رأسه بمؤخرة المسدس .. وهذا صاح « ماسكيو » في الجنود مقاديا :

- الحقوني .. اقتلوهم قبل أن يقتلوني !!

وقبل أن يصل « الزفير » إلى « ماسكيو » ليضربه ، دوى صوت الرصاص .. وهو « ماسكيو » على الأرض وقد استقرت رصاصة في رأسه بين عينيه تماما .. !!

وصاح « الزفير » :

- بسرعة ياجون .. اهرب ناحية الميسار .. والزم جانب الصخور ل تستتر بها .. انهم لن يستطيعوا اصابتنا في تلك المنطقة .. هيا بسرعة .. !

فجريت .. وجري « الزفير » خلفي .. ولكن سقطت على ركبتي فجأة .. ووجدت نفسى غير قادر

على الحركة .. وشعرت بالم شديد في قدمي المسرى
.. وقال «المزفير» ملائعا :

— هل أصابوك أنت أيضا ..

وتقدم نحوى .. وحملنى بين ذراعيه .. ودلت
طلقات الرصاص من حولنا .. وطاشت جميع هذه
الطلقات واحدة بعد أخرى لأننا كنا محتمين خلف
المصخرة ..

الفصل الثاني عشر

سلق الطريق الخطر

لقد أصبحنا أمنين إلى حد ما من طلقات الرصاص .. ولكن إلى أي مدى يمكن أن يستمر هذا الأمان ؟ .. إن الجنود سيهبطون من قمة الرأس إلى أرض لشاطئه ويمكن عندئذ قتلنا أو القبض علينا بكل سهولة .. وليس معنا أي سلاح يمكن أن ندافع به عن نفينا سوى مسدس خال من الرصاص .. وسائلني : المزفiro » :

- لا يمكنك أن تقف على قدميك يا جون ؟ .. هل صبيت عظام قدمك ؟ !

قال ذلك وهو يمسك بقدمي اليسرى وحركها حركة
بسقطة جداً ، ولكنها كانت كافية لأن تشعرني بالألم فظيعٌ
لابطاق .. نقلت وانا احاول تحمل الألم :

- لا استطيع الوقوف .. واشعر بان الدماء
تسيل داخل حذائي .. !

وقال « المزفiro » :

- اننا لا نستطيع ان نعالج قدمك هنا ، وليس
امامنا سوى أن نربطها بقطعة من القماش بصفة مؤقتة حتى
نخرج من هذا الكمين .. فليس امامنا سوى اقا
من خمس عشرة دقيقة يكون الجنود قد هبتو خلالها
من قمة الرأس حتى ارض الشاطئ .. وعندئذ
سيقبضون علينا احياء ويشنقوننا في « دور شستر » !

وبالرغم من معاناتي شدة الألم في قدمي ..
تصورت كم سأكون سعيداً لو أني الآن راقد على

سريري في حانة « هواي نوت » أو حتى جالسا بلا عمل في بيت خالي .. وأحس « الزفير » بما أعاينه و قال :

— لا تفقد الأمل يا جون .. هازالت أمامنا فرصة وحيدة يمكن أن تنفذ حياتنا .. ولكنها فرصة صعبة .. بل وفي غاية الصعوبة .. انى اعرف أن هناك طريقا ضيقا جدا يؤدى الى قمة « رأس هور » وهو طريق وعر جدا وخطر ومن المؤكد ان الجنود لا يعرفون وجوده .. وحتى اذا كانوا يعرفونه فلن يستطيعوا المجازفة بالسير فيه في حين ان لديهم الطريق المعتمد الهابط من القمة الى ارض الشاطئ .. اما هذا الطريق الوعر الذي احدثك عنه فلا اعتقد ان احدا استخدمه من قبل في الصعود الى قمة الرأس او في الهبوط الى ارض الشاطئ .. وهو الفرصة الوحيدة لنجاتنا .. وارجو أن تبعد الخوف عن قلبك .. وان تكون على استعداد لتحمل المخاطرة في تسليق هذا الطريق الضيق الخطر حتى نصل الى قمة « رأس هور » في نفس الوقت الذي يكون الجنود قد هبطوا فيه

إلى أرض الشاطئ .. وبذلك ننجو بحياةنا من هذا الكمين .. وسوف أحملك فوق ظهري واتسلق بك .. وعندما نصل إلى بعض الأماكن الضيقة جداً والأكثر وعورة والتي لا تسمح باجتيازها وأنا أحملك على ظهري ، فعليك في هذه الحالة أن تتجاوزها بمساعدتي وأنت تزحف على يديك وركبتيك .. فهل أنت على استعداد ياجون لتحمل هذه المجازفة !

فقلت بلا تردد :

— طبعاً يا عزيزي « الرزفير » .. وعلينا الآن فوراً أن نخاطر بتسلق هذا الطريق الوعر .. وحتى لو سقطنا من أعلى تلك الصخور المدببة فسوف يكون ذلك أفضل بكثير من الوقوع في أيدي الجنود والموت شنقاً في نهاية الأمر !

وهممت بالوقوف على قدمي ظناً مني أنني استطيع السير ببطء ويقدم تعرج .. ولكنني سقطت فوراً على الأرض وأنا أصرخ من شدة الألم .. فحملني « الرزفير » بين ذراعيه واتجه نحو بداية الطريق الضيق المصاعد

إلى أعلى بميل شديد . . . ومن هناك أقيمت آخر نظرة على « ماسكيو » الرائد ميتاً ووجهه متوجه نحو السماء . . .

روضعنى « الزفير » على الأرض ليستعد إلى حمل فرق ظهره بطريقة مريرة قبل الشروع في الصعود وتسلق هذا الطريق المرعب الخطير . . . وفي اثناء ذلك نظرت إلى أعلى وفحصت جزءاً من هذا الطريق الذي يجب علينا أن نسلقه فاصبته بالذعر وبخوف جمد أطرافي . . . فقد كان الطريق ضيقاً جداً ومائلاً إلى أعلى بطريقة حادة تجعل من المصعب على المرء أن يجتازها دون أن يسقط في البحر ، وتسللت إلى أنفني رائحة نتنة . . . ورأيت بقايا بقرة كانت قد سقطت من أعلى القمة . . . ومن شدة احساسى بالرعب ، اقتنعت بأن البقاء هنا والاستسلام للجنود قد يكون أفضل كثيراً من النجاة بعد اجتياز مخاطر تسلق هذا الطريق المستحيل . . . ولذلك فقد رجوت « الزفير » أن يسرع هو بالهرب وأن يتركنى لمصيرى هنا . . . فقال « الزفير » مشجعاً :

- هيا ياجون . . ليس هناك وقت للتراجع او لتغيير خطتنا . . ما هي الا خمس عشرة دقيقة ونصل الى القمة سالمين . . وعندئذ سيكون امام الجنود ساعة كاملة حتى يصلعوا الى قمة « رأس هور » مرة اخرى ليعاودوا مطاردتنا . . وعندما يعثر الجنود على جثة « ماسكيو » سيقضون وقتاً لمبحث في الامر ، ومعنى هذا اننا سنكسب وقتاً إضافياً . . هيا ياجون . . دعني احملك على ظهرى . . وأغلق عينيك حتى لا ترى اي منظر يخيفك . . ولا تفتح عينيك الا اذا طلبت ذلك ! . .

وحملنى « الزفير » فوق ظهره . . واغمضت عيني كما أمرني . . وبدأت اشعر بوقع خطواته البطيئة وهو يصعد هذا الطريق الضيق الوعر . . وكان من الواضح ان « الزفير » كان يتحسن موضع قدميه وهو يتقدم خطوة خطوة . .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » من انى كنت عقمضاً عينى ، لا ارى شيئاً . . فقد احسست باننا تسلقنا مرحلة لا ياش بها . .



••• تسلق الطريق الخطأ

وارتفعنا إلى منطقة مبوب الهواء البارد .. كما
احسست بأن خطوات «الزفير» أصبحت أكثر صعوبة
وتثاقلا .. وتكلم «الزفير» أخيرا :

- جون .. سوف اتوقف هنا السير الآن ..
سوف أضعك على الأرض بعد أن انزلك من فوق ظهرى
.. واحتفظ بعينيك مغلقتين ولا تفتحهما الآن .. ان
الطريق أصبح ضيقا جدا ووعرا جدا في هذه المنطقة
.. ولا يسعك بأن أمر وانا أحملك فوق ظهرى .. وعليك
الآن أن تزحف على يديك وركبتيك حتى نتمكن من
اجتياز تلك المنطقة الضيقة .. ويمكنك أن تفتح عينيك
وانت تزحف .. ولكن ركز نظراتك على جانب الصخرة
ولا تنظر إلى أسفل اطلاقا ! ..

وعندما فتحت عيني وجدت أن عرض الطريق
لايزيد على قدم واحد وهي مسافة تجعل من الصعب
أن لم يكن من المستحيل أن يعبرها الإنسان زحفا على
قدميه .. ولكن ليس أمامي سوى أن أزحف وأزحف ..

بالمرغم من الألم الغظيع الذي كنت أعاشه وأنا أجر
قدمي المصابة . . . وقال « الزفير » مشجعاً :

— هيا ياجون . . . أسرع قليلاً . . . لم ييق سوي
ان تزحف خطوة او خطوتين . . . ويمكنتى بعد ذلك
ان احملك فوق ظهرى مرة اخرى . . . هيا أسرع وكن
حذراً ! . . .

وأخيراً . . . اتسع الطريق قليلاً ونجينا في اجتياز
المنطقة الوعرة الخطرة . . . وتقدم « الزفير » وحملنى
فوق ظهره . . . وواصل التسلق نحو القمة . . . ولتكنى
فتحت عينى فجأة ونظرت الى أسفل ورأيت منظراً مربعاً
يشير الى الهلع . . . كانت مياه البحر الزرقاء تبدو بعيدة
 جداً من هذا الارتفاع . . . وكانت طيور البحر تحلق
تحتنا وكان الممر ضيقاً وشديداً الوعورة ، واية زلة
قدم معناماً نهايتها . . . وتذكرت مصير البقرة المسمكينة
التي سقطت من أعلى . . . فنجدت عنى صرخة رعب وهلع
. . . فانزلنى « الزفير » من فوق ظهره ورقدت على أرض
المرضية والخوف يملأ قلبي . . . وقال « الزفير » :

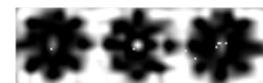
— تشجع يا جون . . . ألم اطلب منك أن تغلق عينيك ولا تفتحهما إلا إذا سمح لك بذلك !؟ . . . لقد تسلقنا لمدة عشر دقائق كاملة ، ولم ييق أمامنا سوى خمس دقائق أخرى ونصل إلى نهاية هذا الطريق . . . هيا أغلق عينيك مرة أخرى . . . ولا تفعل شيئاً سوى أن تعد الأرقام . . . واحد . . . اثنين . . . ثلاثة . . . ومكذا حتى ننتهي من احتياز المسافة الباقية . . .

قلت يائساً :

— لا استطيع يا « الزفير » . . . لا استطيع ! . . .
فنظر « الزفير » إلى أسفل نحو أرض الشاطئ . . .
وقال :

— هاهم الجنود وقد هبطوا أخيراً إلى أرض الشاطئ . . . لقد عثروا على « ماسكيو » . . . وإذا بقينا هنا لمدة دقيقة أخرى فسوف يكون في استطاعة الجنود أن يروننا ونحن في هذا المكان . . . أما إذا تقدمنا قليلاً فإن الطريق ينحني ولن يتمكن الجنود عن رؤيتنا . . . هيا يا جون . . . تشجع !

ان العقل البشري شيء غريب .. فالخوف الأكبر
والأخطر يقتلب على الخوف الأصغر والأقل خطورة ..
وتلاشت كل مخاوفى من اجتياز بقية الطريق الوعر ..
المرتفعة كل هذا الارتفاع المهائل .. والتي تحيط بها
الأخطار من كل جانب .. وواصلت الزحف على يدى
وركبتي .. و « الرفير » يساعدنى ويشجعنى .. وبعد
خمس دقائق من العذاب .. وصلنا الى قمة الطريق ..
وارتمينا على الأرض نلتقط أنفاسنا .. !



الفصل الثالث عشر

الكهف

ما زلنا في الصباح المبكر ، ولكن قرص الشمس
أخذ يصعد إلى السماء ويقتلاً نوره فوق مياه البحر . . .
ووقدنا على الأعشاب ل تستريح قليلاً بعد تسلق هذا
الطريق الوعر المخيف . . . وبعد دقائق هب « الزفير »
واقفاً وقال :

- هيا يا جون . . . فما زالت أهاماً مهمة صعبة
أخرى . . . ان علينا أن نعتني بقدمك الجريحة ونعالجها
. . . وعليينا أن نغادر هذا المكان بالرغم من أن الجنود
لو حسدوها إلى قمة « رأس هور » مرة أخرى ، فلن

يخطر ببالهم أننا في هذا المكان الآمن بعيد عن الطريق الصاعد العادي . . ولابد أن نتحرك الآن لنجد مخبأ نختبئ فيه حتى نعالج قدمك . . وأنا أعرف مكاناً جيداً وأمناً اسمه «كهف جوزيف» وهو يبعد نحو سبعة أميال من هنا . . وقد تستغرق الرحلة النهار كله . . لأنني مضطر إلى السير ببطء وأنا أحملك . .

وحملنى «الزفير» بين ذراعيه . . وبدا السير مخترقاً مساحة من الحقول الواسعة . . وكان الألم في قدمي يشتد كل لحظة . . وأخذت حرارة الشمس تشتد هي الأخرى . . وبدأت خطوات «الزفير» تتباطأ وتتصبح ثقيلة . . إلى أن وصلنا إلى بقايا حائط مهدم ، وهناك وضعنى «الزفير» فوقه . . وارتدى على الأرض وأعلن أنه متعب وأصبح لا يستطيعمواصلة السير . . وطلب مني أن أظل مستيقظاً واراقب المكان . . واستغرق هو في النوم خلال دقائق . .

وكان الهواء يهب لطيفاً دافئاً ونحن محتملين بظل بقايا الحائط . . وبدأت أقاوم النعاس . . ولكنني فشلت

٠٠ وبالرغم من انى مكلف بالحراسة ومن الواجب ان
اظل مستيقظا ، الا ان الفوضى غلبني في النهاية ٠٠

ولا ادرىكم من من الوقت ٠٠ ولكن استيقظت
مفروعا على صوت طلاقة دوت في مكان قريب ٠٠
وعاودنى الالم الشديد في قدمى بعد ان سكن قليلا اثناء
نومى ٠٠ وتحركت لاوقيظ « الزفير » ولكن وجده
مستيقظا ووضع اصبعه امام فمه اشاره لي بان اسكت
والزم الصمت دون حركة ٠٠ وزحف هو خلف الحائط
واختبأ وراء شجرة حتى يستقطع الامر دون ان يراه
 احد ٠٠ وبعد فترة وجيزة عاد واخبرنى :

ـ انه ولد صغير يصطاد الطيور ببن دقية ٠٠ وعلينا
الاتحرك الا اذا جاء المصبي نحونا ٠٠ !

وبعد نحو دقيقة من المراقبة قال « الزفير » :

ـ هاهو المصبي قادم نحونا ٠٠ لابد ان نريه
أنفسنا ٠٠

و هب « الزفير » و اقفا ، و رأه الصبي ، و خاف
الصبي و بدا يجري .. فنادى عليه :

— هاه أيها الصبي .. ماذا تعمل هنا ؟!

وتوقف الصبي عن الجري وأجاب :

— انى أصيد الطيور لل فلاح « توب » ..

وسأله « الزفير » :

— هل لديك بارود كاف .. هل يمكنك ان تعطيني
بعض البارود لأنى اريد ان اصيد ارنبًا بريا من اجل
عشائي .. ولكن ليس معنى بارود لا حشو بـ
مسدسى .. !

وأجاب الغلام :

— نعم لدى قليل من البارود .. ولكنى احتاجه
لصيد الطيور .. والا ساتعرض للضرب .. !

فقال « الزفير » :

- لا عليك أيها الصبي .. اعطني بعض البارود
وسوف اعطيك قطعة كبيرة من النقود ..

واخرج « الزفير » من جيبه قطعة كبيرة من النقود
ووضعها بين اصابعه ليغرس بها الصبي الذي لمعت
عيناه حين رأى النقود التي يمكنه ان يحصل عليها ..
ولذلك فقد قال « الزفير » على الفور :

- اعطني كل ما معك من بارود وسوف اعطيك
قطعتين من هذه النقود ..

وبكل سهولة اعطى الصبي كل مامنه من البارود
الى « الزفير » .. واخذ الصبي نقوده .. وارد
« الزفير » ان يكمل الصفقة فقال للصبي :

- يعني البنديبة ايضا ..

وهنا رفض الصبي هذا العرض وقال :

- لا .. ان الناس يقولون لن هناك بعض المهربيين

قد هربوا في هذه المنطقة ، وان جنود الملك يبحثون عنهم
للقبض عليهم ..

فقال « الزفير » دون تردد :

ـ ولهذا السبب بالذات أريد أن اشتري منك
البنديقة لأدفع بها عن نفسي ضد المهربيين الذين لا يمكن
أن يلحقوا بك أذى لأنك صبي صغير ولا تفهمهم في شيء
ـ وسوف أعطيك قطعة ذهبية .. هاهي !

وأخرج « الزفير » من جيبه قطعة ذهبية واعطاها
للحصبي الذي أعطاه البنديقة وانصرف .

لا أدرى ما الذي جعلني لا أثق في هذا الصبي ..
وطللت أراقبه بعد أن انصرف .. ولاحظت أنه كان
يسير متمهلا في البداية ثم سرعان ما أطلق ساقيه
للريح وأخذ يجري .. وأخبرت « الزفير » بما افker
فيه ، وقلت له أني أشك في أن هذا الصبي سيذهب

ليغبر الجنود يأنس رأى المهربين ويعرف مكانهم ..
 فقال « الزفير » :

ـ علينا في هذه الحالة أن نختفي من هنا فوراً
وعلينا أن نسير بأقصى سرعة .. وعلى آية حال فان
الكهف الذي نقصده قريب من هنا .. وعلى مسافة
بسطة .. هيا ياجون .. !

وحملني « الزفير » مرة أخرى .. وانطلق مسرعاً
ولكن بحذر .. وظل محتمياً ببقایا الحائط الى أن
عبرنا منطقة الحقول ووصلنا الى ارض واسعة يغطيها
العشب ويجوارها تل منخفض يبدو انه كان محجراً في
الماضي حيث يظهر جانبه وعليه الآثار التي تركتها
الأحجار المقطوعة .. وعند سفح هذا التل كانت هناك
بعض البيوت الصغيرة الخالية التي تركها الحجارون
الذين كانوا يعيشون في هذه المنطقة منذ زمن مضى ..

ولاحظت أن هناك ثقباً عميقاً في الأرض ، تؤدي
إليه بعض درجات مقطوعة في الحجر .. وبداخل هذا
الثقب لا يوجد شيء سوى ظلام دامس ..

وَضَعْنِي « الزَّفِير » عَلَى الْأَرْضِ جَوَارِ مَدْخُولِ الثَّقَبِ
وَقَالَ وَهُوَ يَشْرُحُ لِي المَوْقِفَ :

— هَاهُو « كَهْفُ جَوَزِيف » الَّذِي حَدَثَتْكَ عَنْهُ
وَهُنَا سَوْفَ نَخْتَبُ إِلَى أَنْ تَشْفِي قَدْمَكَ تَعَامًا . . . وَلَنْ
يُسْتَطِعَ أَحَدٌ أَنْ يَعْثُرَ عَلَيْنَا هُنْسًا . . . أَنْ هَذَا الثَّقَبُ
يَؤْدِي إِلَى مَرْأَةٍ طَوِيلَةٍ مَتَعْرِجٍ مَحْفُورَ بِدَاخْلِ التَّلِ . . . وَفِي
نَهَايَةِ هَذَا الْمَرْأَةِ يَوْجُدُ كَهْفٌ وَاسِعٌ وَلَهُ مَخْرُجٌ عَلَى
الْبَحْرِ . . . وَفِي هَذَا الْكَهْفِ سَنَعِيشُ إِلَى أَنْ تَشْفِي
قَدْمَكَ . . .

وَاسْتَرْحَنَا لِدَقَائِقٍ قَلِيلَةٍ ثُمَّ حَمَلْنِي « الزَّفِير » بَيْنَ
ذَرَاعَيْهِ وَبِمَا يَهْبِطُ بَعْضُ الدَّرِجَاتِ دَاخِلَ الثَّقَبِ . . . ثُمَّ
بَدَأْنَا نَسِيرٌ فِي سَرَدَابٍ ضِيقٍ ذِي صَخْرَةٍ مَدَبِبَةٍ عَلَى
جَانِبَيْهِ وَفِي السَّقْفِ الْمَنْخَفَضِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا . . . وَلَكِنْ
كَانَ مِنَ الْوَاضِعِ أَنْ « الزَّفِير » يَعْرُفُ الْمَكَانَ جَيْدًا ، إِلَى
أَنْ وَصَلَنَا فِي النَّهَايَةِ إِلَى الْكَهْفِ الْمَشْسُودِ . . . وَهُوَ
كَهْفٌ كَبِيرٌ وَوَاسِعٌ يَتَسَرَّبُ إِلَيْهِ ضَوءُ النَّهَارِ خَلَالَ فَتْحَةٍ
بَعِيدَةٍ . . . وَيَهْبِطُ بِدَاخْلِهِ هَوَاءً بَارِدًا وَمَنْعَشًا وَمَتَجَددًا . . .
وَلِهَذَا فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الْبَحْرَ لَيْسَ بَعِيدًا عَنْ هَذَا الْكَهْفِ . . .

الفصل الرابع عشر

الشقاء ..

وبعد أن أعد لى « الزفير » فراشا من الرمل
الجاف .. أرقةني عليه وهو يقول :

ـ انه ليس سريرا مريحا .. ولكن من المؤكد أن
هناك أماكن أخرى للنوم أسوأ منه بكثير .. وعلى أخي
حال فان من الملائم والضروري أن ترقد هنا لمدة شهر
أو ربما شهرين حتى يلتئم الجرح في قدمك وتعود
إليك عافيتك تماما ! ..

ولكن بينما كان « الزفير » يتكلم .. كنت أشعر

بالم شديد يكاد يحطم رأسى . . وطلبت أن أشرب بعض الماء . . فاحضر لى « الزفير » بعض الماء فى قبعته ، وشربت وأناأشعر بان رأسى تدور وتدور . . ولم أشعر بما حدث بعد ذلك وأصبت بفيروس كاملة استمرت عدة أيام . . أخبرنى « الزفير » بعد ذلك أنى كنت أفز من غيبوبتى تلك وأصرخ وأهدى . . ولكنه كان يقوم بتهذبتنى ويحرص على راحتى . . وكان لا يترك الكف اطلاقا الا اذا اضطر لاحضار بعض الطعام . .

ويعد أن خفت عنى وطأة المرض وبدأت اتمثال للشفاء . . أصبحت نحيفاً وفي غاية الضعف . . ولم أعد أفعل شيئاً سوى الرقاد على الفراش الرملسى لا أفكر في شيء ولا أزعج نفسي بالاهتمام بأى شيء . . وأكل كل ما يقدم إلى من طعام . .

ولم يكن هناك أحد يعرف سر وجودنا بهذا الكف سوى « راتسى » الذى كان يحمل علينا الطعام بين حين وآخر ويخبرنا باخر أخبار ما يحدث فى « مون فليت » . . وقال لنا ان الجنود مازالوا يبحثون عنا فى . .

مكان . . . وانهم كانوا يظنون في البداية اننا قد سقطنا في البحر . . . وقد قال الجنود ذلك حين احضروا جثة « ماسكيو » الى بيته . . . ولكن هذا الوضع تغير بعد ان اخبرهم صبي صغير انه رأى واحدا من المهربيين ومعه صبي مصاب في قدمه . . . وأن هذا المهرب خطف منه بندقيته وباروده . . . وللهذا فقد اعلن قائد الجنود عن مكافأة قدرها خمسون جنيها لمن يقبض على « الزفير بلوك » . . . ومكافأة اخرى قدرها عشرون جنيها لمن يقبض على الصبي « جون ترافشارد » . . .

وهكذا مرت الأيام . . .

وبدأت استعيد صحتي وعافيتي . . . وبدا « الزفير » يتحدث عما سوف نفعله بعد ان نغادر الكهف . . . وقال ان علينا ان نذهب الى « نيو بورت » ومن هذا المبناء نركب سفينة المهربيين « بون ادفشر » ونذهب بها الى فرنسا . . . وتختبئ هناك الى ان يكف الجنود عن البحث عنا . . .

وهي احدى الامسيات العاصفة ، كان « الرزفيرا »
قد ذهب الى بلدة « بول » القرية بعد ان علم ان السفينة
« بون ادفنشر » ستكون موجودة هناك ، وليتفق مع
بحارتها على الموعد المناسب لرحلتنا ..

كنت اجلس خارج الكهف لكي اطسل على البحر
الصاحب الذي كانت امواجهه العاتية تتلاطم بعنف فوق
حصفور الشاطئ .. وخيل الى اني رأيت منظرا غريبا
.. خيل الى انى ارى « ماسكيو » راقدا على الأرض
مكتوف اليدين والقدمين ومع ذلك فقد كان يضحك لي
او يضحك على .. لا ارى ..

قمت ودخلت الى الكهف وراحت شمعة وفتحت
العلبة الفضية التي عثرت عليها في قابوت ذي اللحية
السوداء .. واخرجت الورقة الصغيرة ذات الكتابة
الغامضة .. وأخذت اقرأها مرة أخرى :

قد يعيش الرجل ثمانين عاما ..
يعيش قديما قدما تحت سيل الدموع ..

فأشرب من بئر السعادة ..

لأن الموت سيأتي حتما ..

من جهة الشمال أو الجنوب ..

«جون موهون»

وفجأة سمعت حركة في الممر الموصل إلى الكهف ..
وسمعت وقع خطوات لشخص قادم .. انه ليس
ـ الزفير ، لأن «الزفير» ، لن يعود من مشواره قبل عدة
ساعات فمن ياترى يكون القادر ؟! .. اطفأت الشمعة
ـ وأمسكت بالبندقية التي كانت موضوعة إلى جانبي ،
وصحت في الظلام :

ـ من القادر هناك ؟!

توقفت الخطوات ولكن أحدا لم يرد .. فكروت
الصياغ هرة أخرى وبصوت أعلى :

ـ من القادر هناك .. أجب والا فسوف أطلق
النار !!

ومنا أجاب المقام :

— أنا « راتسي » أيها الجنون الصغير .. هل
ستطلق النار على أعز صديق لك .. وبالبندقية التي
أخضرها إليك .. !

ومكذا أنزلت البندقية ، وأعدت اشعال الشمعة ..
ورأيت « راتسي » أمامي .. !

كانت ملابسه مبتلة بسبب الأمطار الغزيرة التي
هطلت عليه في الطريق إلى هنا .. ولكنه كان مسرورا
برؤيتي وقال وهو يمسك بيدي :

— جون .. ان مساحت لك طوال الشهرين
الماضيين قد حولك من صبي إلى رجل .. لقد كنت
 مجرد صبي صغير حين خرجت معنا في عملية « رأس
مور » .. لم يكن من الصواب أن تخرج معنا في ذلك
الصباح .. ان مثل هذه الأعمال لاتناسب صبيا في مثل
ذلك ..

وبالرغم من اقتناعي بصحة كلامه الا انني قلت
بصدق :

- لا يا « راتسي » .. اينما يذهب « الزفير »
ساذهب معه .. وainما يبقى سابقى ..

وجلست فوق فراشى الرملى .. وبدأت العاصفة
تشتد فى الخارج .. وتسدل الماء الى داخل الكهف
فاطفا الشمعة .. وصاح « راتسي » :

- يللها من ليلة عاصفة باردة .. كان الله فى
عوننا .. فقلت مؤيدا :

- نعم .. وكان الله فى عون البحارة والرجال
الذين يعملون فى السفن التى تجوب البحر فى تلك
ال العاصفة ..

وقال « راتسي » :

- حقا .. ومن المحتمل اننا سنجد بعض القوارب
والسفن الصغيرة محطمة على شاطئ « مون فليت »

صباح اليوم التالي بعد مدوء العاصفة .. دعنا نشعل
بعض النار .. !

واشعلنا النار في بعض الأخشاب وفروع الشجر
.. وأحسينا بالدفء .. وقال « راتسي » وهو يفرك
يديه :

- كنت موشكًا على الموت متجمداً من شدة البرد
.. كم هي جميلة ظك النار .. وكم هي مفيدة للإنسان
.. هل تعلم يا جون أن لي ذكريات حزينة في هذا
المكان ؟ .. فمنذ حوالي أربعين عاماً .. عندما بدأت
أعمل في تهريب البضائع .. كنتجالساً في نفس هذا
المكان بداخل هذا المكّف .. وفجأة سمعت أصواتاً
تصرخ .. وصوت سفينة ترتطم بصخور الشاطئ عدة
مرات .. وكل من كان عليها من رجال ونساء وأطفال
 كانوا يصرخون طلباً للنجدة وانقاذهن من السفينة
الغرقة .. وعندما خرجنا لنسقطل الع الأمر لم نستطع
أن نرى شيئاً بسبب شدة الظلام وشدة هطول المطر ..
وفي صباح اليوم التالي علمنا أن السفينة ، فلوريدا ،

- وهي سفينة جيدة - قد غرقت بكل من كان عليها من
رجال ونساء وأطفال ..

ووصفت «راتسي» قليلاً بعد أن استعاد أحزان هذه
الذكرى .. وبعد فترة أخرج ورقة من جيبه وأعطها
لـ لكي أقرأها .. وكانت الورقة عبارة عن اعلان
بمكافأة ٥٠، جنديها من يرشد إلى مكان العثور على
«الزفير بلوك»، ومكافأة أخرى ٢٠، جنديها من يساعد
الجنود في العثور على «جون ترنشارد» ..

وقال «راتسي» ليطمئنني :

- لا أحد في «مون فليت» يعلم شيئاً عن مكان
اختفائكم .. وحتى لو علموا فلن يقبل أحد أن يشي
بكم .. ولكن الجنود يراقبون كل تحركاتي .. وإنما
ذهب أراهم يتبعون خطواتي .. وقد يكون من الأفضل
أن أمتنع عن المجيء إلى هذا المکف مرة أخرى حتى
لا يكون هناك من يراقبني ويعرف وبالتالي سر المكان ..

وعندما أخبرت «راتسي» بأن «الزفير» قد ذهب

إلى بلدة « بول » ليتفق مع بحارة السفينة « بون
ادفنشر » على سفرنا إلى فرنسا .. شعر « راقصي »
بكثير من الفرح والارتياح لهذا القرار .. ولكنّه بعد
ذلك صمت قليلا .. ومد يديه ليصفّهما أمام النار ..

وقال في صوت حزين :

- إن قلبي مملوء بالحزن يا جون .. لقد راحت
الأيام السعيدة الماضية .. و « الزفير » لم يسعّط
العودة إلى « مون فليت » مرة ثانية .. وحانة « هواى
نوت » مغلقة لأن « ماسكيو » قد مات قبل أن يبدأ
العمل فيها .. و « جريس » ابنة « ماسكيو » بنت
صغيرة ومسكينة .. نحيفة وبضاء مثل الزهرة ..
هل تعلم يا جون أنها لم تصدق الرجال الذين قالوا لها
أنك أنت و « الزفير » اشتراكتما في قتل أبيها .. بل
وقالت لهؤلاء الرجال أن « الزفير » لا يمكن أن يقتل
رجلًا في مثل الحالة التي كان عليها أبيها بعد أن
 أمسكه .. وحتى لو كان « الزفير » قد شرع في قتل

أبيها انتقاماً لقتل ابنه « دافيد » فهى تعلم جيداً أن
« جون ترنشارد » سيعذل كل جده لكي يمنعه . . . !

- حقاً ان « جريس » بنت جميلة وبيضاء مثل الزهرة .. ولكنها مازالت صفيرة .. وربما ستكون خير زوجة لك عندما تصبح رجلاً .. وذلك اذا قبلت هي الزواج منه !

ووضع « راتسي » بعض الاخشاب في النار فا زداد
لهيبها واحتتعلت ووفرت لنا مزيدا من الضوء ..
وعندئذ رأيت ورقة ذي اللحمة السوداء التي كنت

اقرأها عندما سمعت خطوات « راتسي » حين كان قادما من المعر المؤدى إلى الكهف . . وكانت الورقة الصغيرة ملقة إلى جانب قدمي « راتسي » . . فالتقطها وتحصها قليلا ثم قال :

— ما هذه الورقة يا جون . . إنها مكتوبة بطريقة رديئة . . وفيها بعض الكلمات مكتوبة بحروف كبيرة في الوقت الذي كان يجب أن تكتب فيه بحروف صغيرة . . !

وأعطاني الورقة ، ونهض واقفا ثم قال :

— يبدو اتنى لن استطيع أن انتظر « المزفير » ، أكثر من ذلك . . وعندما يعود عليك أن تخبره بما قلته لك . . وعليكما أن تسرعا بمعادرة هذا المكان في أقرب وقت .

وودعني « راتسي » وانصرف . .

والتقطت الورقة الصغيرة وعاودت قراءتها . . ولاحظت بالفعل أن هناك كلمات كتبت بحروف كبيرة في حين أن الصحيح أن تكتب بحروف صغيرة . . كيف

لملاحظ هذا من قبل .. وببساطة شديدة وجدت ان الكلمات التي كتبت بالحروف الكبيرة هي :

ثمانين .. قدماء .. تحت .. بئر .. جهة الشمال

لقد اكتشف سر الجوهرة اذن .. فمعنى هذه الكلمات ان الجوهرة مخبأة في « بئر » على عمق « ثمانين قدماء » ، « من جهة الشمال » .. ولكن شمال ماذا ؟ !

وأبى تغرقت في التفكير لحل هذا اللغز الجديد .. ودب في عيني النعاس فتعمت لفترة .. وعندما استيقظت لاحظت ان النار ما زالت مشتعلة ، وان « المزفير » جالس أمامها ويعد بعض الطعام .. فقال حين رأني مستيقظا :

- هذه ثاني مرّة ياجون تمام فيها في حين يجب أن تبقى مستيقظا لمراقبة المكان .. !

اعذرته .. وأخبرته بأمر تلك الكلمات المكتوبة

بحروف كبيرة في ورقة ذي اللحية السوداء .. والمعنى
الذي تشير إليه تلك الكلمات .. فقال « الرفيق » ..

ـ يبدو أنك محق في هذا المظن .. ولكن ما هو
البئر المقصود ؟ .. أنا أعرف جميع الآبار في « مون
فليت » .. وليس بينها بئر واحد عميق « ثمانون قدمًا » ..
ـ وربما يكون هذا البئر المقصود في الورقة يقع في
منطقة خارج « مون فليت » .. ربما يكون في قلعة
« كاريسبروك » التي كان « جون موهمون » نو اللحية
السوداء يقوم فيها بحراسة الملك السجين .. أنا أعرف
أن هناك بئراً بداخل تلك القلعة .. فهيا بنا نذهب إلى
ذلك .. أن لدى أصدقاء مخلصين في القرية المجاورة
لتلك القلعة .. ويمكننا أن نختبئ .. عندهم في أمان ..
ـ كما أن المنطقة التي تقع فيها هذه القرية أكثر أمناً من
مكاننا هذا .. !

وهكذا قررنا أن السفينة « بون أوفنشنر » ستأخذنا
إلى « كاريسبروك » بدلاً من الأبحار إلى فرنسا .. وفي

اليوم التالي ، أحضر « الزفير » سائلاً بنياً صبغ به
بشرة وجهى .. وتنكر هو بحلق لحيته .. وغيرنا
ملابسنا بملابس فلاح وصبيه .. وعندما نظر كل منا الى
الشخص الآخر بعد هذا التنكر الجيد ، تأكينا أن أحداً
لن يعرفنا في هذا الزي الجديد .. !



الفصل الخامس عشر

سأنتظرك حتى تعود ..

بقيت لدينا ليتان كاملتان تقضييهما في هذا المخا
قبل أن نبدأ رحلتنا إلى « كاريسبروك » .. كنت
أخشى أن تمر هاتان الليلتان دون أن أتمكن من الذهاب
إلى « جريس » لرؤيتها وتوديعها .. وترددت كثيرا
في اختيار الكيفية التي أبلغ بها « الزفير » برؤبتي
هذه ..

وبينما كنت جالسا مع « الزفير » عند فتحة الكهف
التي تطل على البحر ونرقب آخر ساعات من نور
الشمس الغاربة ، رأيت أن الوقت المناسب قد حان

لاستئذان « الزفير » ليسمح لى بهذه الزيارة . ويدات
عرض الموضوع بكلمات هادئة :

— يا عزيزى « الزفير » .. انى اشكر لك اهتمامك
بى طوال الفترة الماضية .. لقد انقذت حياتى من موت
محقق .. وعالجت قدمى الجريحة الى ان شفيت ..
ومنذ نحو شهرين او اكثر وانا ملازم لهذا الكهف
لا ابرحه .. لا ارى فيه شيئا سوى جدرانه الصخرية ..
وانا اريد ان اتعشى لأمرن قدمى على حسن المسير
بطريقة طبيعية .. اريد ان امشى فوق ارض عشبية ..

قال « الزفير » :

— لا تقل انى انقذت حياتك .. انى على العكس
أشعر بانى السبب فى كل ما تتعرض له الان من متابع
واخطار .. ولو لم افعل ذلك لكنت الان راقدا فسق
صريحك النظيف فى « مون فليت » بدلا من رقاشه على
غراش رملى على ارض الكهف الصخرية .. انى ذاهب
الليلة الى بيت يقع فى مكان قريب من هنا .. لأن

« راتسي » قد ترك لنا شيئاً في ذلك البيت .. فتعال
معي في هذا المشوار .. لتشعرني وتنعم بسماوات
الليل ..

فقلت بلا تردد :

ـ لا يا « المزفير » .. انى اريد ان اذهب ابعد
من ذلك .. انت تعلم انى ولدت في « مون فليت » ..
وعشت فيها طوال حياتى .. وأحببت فيها كل شيء ..
أشجارها .. ونهرها .. وكل حجر فيها .. وانا اريد
ان اقى آخر نظرة على « مون فليت » قبل ان أغادرها الى
الابد .. وأرجو ان تسمح لي بان اقوم بهذه الزيارة
وسوف اعود اليك في الليلة التالية ..

نظر « المزفير » نحوى دون ان يتكلم .. و كنت
على يقين من انه يعرف نواياى وما اقصده من زيارة
« مون فليت » .. لذلك فقد خفضت نظري الى الأرض
ـ وبعد لفترة قصيرة تكلم « المزفير » دون غضب :

ـ جون .. انى اعرف ان الرجال قد يعرضون

أنفسهم للمخاطر لأسباب مختلفة . . . في سبيل الذهب
مثلاً . . . أو في سبيل الحب . . . أو بغرض الانتقام . . .
ولكنني لا أعرف حتى الآن رجالاً يعرضون أنفسهم
للمخاطر لكي يروا شجرة . . . أو نهراً . . . أو حبراً . . .
ان الناس عندما يقولون انهم يحبون مكاناً معيناً أو
قرية أو مدينة معينة فانهم لا يقصدون انهم يحبون هذا
المكان أو تلك القرية كأشياء جامدة . . . ولكنهم يحبون
شخصاً معيناً يعيش هناك . . . ولا اعتقد ان هذا الشخص
هو خالتك « مس ارنولد » . . . فهل تريد ان تذهب الى
« مون فليت » لكي تراها !؟ . . .

وطبعاً . . . حكى له كل شيء يصدق . . . واندهشت
كثيراً عندما قال « الزفير » :

— أعرف ان هذه الفتاة الصغيرة جميلة وذات قلب
طيب . . . وكان ابوها « ماسكيو » لا يستحقها . . . ومع
ذلك فانا سعيد الان لأنى لم اكن قاتله . . . اذهب يا جون
وتمتع برؤية النهر والأشجار والاحجار كما تقول . . .
وسوف اصاحبك في بعض الطريق الى هناك . . . وسوف

انتظرك في المكهف حتى تعود في الليلة القادمة . . . وإذا
لم تحضر حتى منتصف الليل ، فسوف أعرف أنهم
قبضوا عليك . . . وسوف أحضر لمساعدتك بكل وسيلة .

وصادقت بحرارة وشكرت له موقفه . . .

وهكذا بدأنا رحلتنا بعد أن حل المظلام . . . وأخذنا
معنا خبزا وبعض اللحم ليكون طعاماً لى اثناء الرحلة
إلى « دون فليت » والعودة . . . وعندما كنا نجتاز المعر
الضيق لكان « الزفير » يرشدنا ويأخذ بيدي خطوة خطوة
إلى أن خرجنا إلى الأرض البراح المواسعة . . . وكانت
السماء صافية تستطيع فيها النجوم . . . وتهب علينا
نسمات المساء الرقيقة المندية . . .

وواصلنا السير في صمت ممتعين بجمال الليل
حتى وصلنا إلى البيت الذي ترك فيه « راتسي » شيئاً
« لا لزفير » . . . ثم صاحبني « الزفير » حتى وصلنا
إلى منطقة « باربيك » . . . وهناك توقف « الزفير » عن
السير ، وقال وهو يعطيي المسدس الذي كان مملوكاً
من قبل « ماسكيو » :

- خذ هذا المسدس يا جون .. ولا تستعمله الا اذا
واجهت خطرا جسيما لايمكن أن تتجنبه بطريقة أخرى ..
وإذا اضطورت الى استخدامه فاطلق النار على
الجزء السفلي من جسم عدوك !



وعندما بدأت الشمس تطل على السماء من افق الشرق معلنة تباشير الصباح .. كنت قد وصلت الى التل الذي يطل على « عون فليت » كلها .. ومن هذا التل رأيت كل بيوت القرية .. ورأيت حانة « هواى نوت » .. ورأيت النهر والبحر .. وكانت هذه المناظر كلها تسعدني وتحزنني في نفس الوقت ..

وعندما اشتدت حرارة الشمس .. واصلت السير الى غاية « مانوز » وذهبت مباشرة الى مكانى المعتاد الذى كنت اجلس فيه في الماضي لأرى كل شيء ببيت « ماسكيو » دون ان يراني احد .. وحيث كنت ارقب « جريس » حين كانت تخرج الى الجديقة .. وهناك

جلست وتناولت قطعة من الخبز وانا اراقب باب
البيت . . . وأخذت افكر . . . هل اذهب واقرع جرس الباب
. . او ربما يكون هناك احد يتعرف على ويكتشف
أمرى . . والحقيقة انه بالرغم من تذكرى في ثياب
الفلاحين التي ارتديها الا انى كنت اخاف بالفعل من
مقابلة اي شخص لاينطلق عليه هذا التذكر . . وعلى
ایة حال ، فقد عزمت أمرى . . ومشيت في الطريق
المؤدى الى باب البيت . .

وقرعت جرس الباب . .

وسمعت وقع خطوات هيئة رقيقة تتقدم نحو الباب
من الداخل . . ثم سمعت صوت « جريس » المعذب
الجعيل :

— من هناك !

وكدت اصبح قائلا : انا جون ترشارد يا جريス . .
ولكنني تذكريت ان من المعتدل ان يكون معها احد في
البيت فيعرفني . . لذلك قررت قلت وانا اغير نبرات
صوتي :

- أنا صبي مسكين .. تهت في الطريق ولا أعرف
أين أنا ! ..

وعندئذ فتحت « جريس » الباب مواربا وسائلتني
عن الجهة التي كنت أقصدها .. ونظرت إلى دون أن
يبدو عليها أنها تعرفني .. فواصلت كلامي بنفس
الطريقة :

- أنا صبي فلاح .. جئت سيرا على قدمي من
بلدة « باربيك » قاصدا حانة اسمها « هواى نوت »
يدبرها شخص اسمه « الزفير بلوك » .. !

وعندما سمعت « جريس » هذا الكلام اندھشت ..
ونظرت إلى مرة أخرى ولكنها لم تعرفني .. وقالت
أخيرا :

- إذا صعدت معى هذه الدرجات القليلة ، استطيع
أن أريك موقع هذه الحانة .. ولكن يبدو أنك لا تعرف
ان حانة « هواى نوت » مغلقة منذ أكثر من شهرين ..
وان « الزفير » قد غادر القرية ..

وخرجت « جريس » من المباب .. وسارت عدة خطوات ، ثم صعدت بضع درجات وأنا اتبعها .. وعندما أصبحنا وحدنا في هذا المكان البعيد قليلا عن باب البيت .. قلت لها بصوت منخفض :

ـ جريس .. أنا جون ترنشاورد .. جئت متخفيا حتى أراك قبل أن أغادر « مون فليت » .. ولدي أشياء كثيرة أريد أن أخبرك بها .. هل هناك أحد في البيت غيرك .. !

كان من المتوقع أن أية فتاة يمكن أن تصرخ اذا واجهت مثل هذا الموقف .. ولكن « جريس » لم تفعل .. بل قالت بهدوء :

ـ هيا نعود الى البيت .. أنا هناك وحدي !

ودخلنا الى البيت ، وما ان أغلقنا الباب من خلفنا . حتى وضع كل منا يديه بيدى الآخر .. وجلسنا متقابلين ينظر كل منا الى عيني الآخر .. كانت لحظات سعيدة

حلوة تبدو كما لو كانت حلماً جميلاً في منام مريع ..
وقالت « جريس » أخيراً :

- جون .. لقد كبرت .. لقد أصبحت رجلاً خلال
هذين الشهرين الماضيين !

ولاحظت أن « جريس » قد كبرت هي الأخرى خلال
نفس الفترة بسبب المهموم والمتاعب التي اعقبت موت
أبيها .. فقد وجهها بعض البريق الساحر الأخاذ
الذي كان يشع من جبينها ووجنتيها ..

وضمكت « جريس » كثيراً من ملابس الفلاحين
القراء التي كنت متذمراً فيها .. ومن الصيغة البنية
التي دهشت بها بشرة وجهي ويدى ..

ثم ذهبنا إلى الحديقة ، وجلسنا في ركن وراء
شجرتين ضخمتين .. وقالت « جريس » ، إن بإستطاعتي
أن أسلق أحدي هاتين الشجرتين بسهولة واقفز خارج
سور البيت إذا ظهر أحد أو رأينا خطراً يداهمنا ..

وأخبرت « جريس » بحقيقة كل ماحدث لأبيها ..
وكانت تبكي وانا اشرح لها التفاصيل .. الى ان
انهيت من المكالمة ، وجفت « جريس » دموعها ..
وسألتني عن اصابة قدمي وهل شفيت منها تماما ..
فأجبتها بالايجاب ورويت لها الجهد الذي بذله « الزفير »
في علاجي .. ثم أخبرتها بأمر الكلمات المكتوبة على
الورقة التي عثرت عليها بداخل العلبة الفضية التي
كانت مملوكة فيما مضى لذى الملحية السوداء ..
واريتها العلبة الفضية الجميلة التي مازالت محفظا
بها .. وشرحـت لها كيف اكتشفت سر الكلمات المكتوبة
بالحروف الكبيرة وانـى ذاهـب للبحث عن الجوهرة
الثمينة ثم أصبحـ من أغنى الأغنياء في هذهـ البلاد ..
وعندئـذ قالت « جـريس » :

ـ أه ياجـون .. لا تـفكـرـ كثيرـا فيـ أمرـ تلكـ الجوهرـةـ
ولـاتـحاـولـ الحصولـ عـلـيـهاـ .. لـقـدـ كانـتـ مـمـلـوـكـةـ لـرـجـلـ
سيـءـ ولـنـ يكونـ وـرـاءـهاـ شـيـءـ سـوـىـ التـعـاسـةـ وـحتـىـ
لـوـ عـثـرـتـ عـلـيـهاـ يـاجـونـ فـبـعـهاـ وـانـفـقـ ثـمـنـهاـ لـمسـاعـدةـ
الـفـقـراءـ .. وـالـاـ حلـتـ بـكـ التـعـاسـةـ اـنـتـ أـيـضاـ !

وضحكـت مـعـا قـالـتـه « جـريـس » .. وـلـكـنـى لـمـ أـخـبـرـها
بـأـنـى أـرـيدـ أـنـ أـكـونـ غـنـيـاـ لـسـبـبـ وـاحـدـ .. هـوـ أـنـ أـتـزـوـجـهاـ

وـتـواـصـلـتـ بـيـنـنـاـ أـحـادـيـثـ طـوـيـلـةـ طـيـبـةـ .. وـاحـضـرـتـ
لـىـ « جـريـسـ »ـ خـبـزاـ وـلـحـماـ سـاخـنـاـ وـبعـضـ الـفـواـكهـ منـ
داـخـلـ الـبـيـتـ .. وـطـلـبـتـ مـنـىـ أـنـ اـسـتـرـيـعـ وـأـنـسـامـ بـعـضـ
الـوقـتـ بـعـدـ أـنـ أـخـبـرـتـهاـ أـنـىـ لـمـ أـنـمـ الـلـيـلـ المـاـضـيـ لـأـنـ
الـرـحـلـةـ الطـوـيـلـةـ قدـ اـسـتـغـرـقـتـ طـوـلـ الـلـيـلـ .. وـتـرـكـتـنـىـ
وـعـادـتـ إـلـىـ الـبـيـتـ .. وـاسـتـغـرـقـتـ فـيـ نـوـمـ جـمـيلـ هـانـىـ،ـ
فـيـ ذـلـكـ الـرـكـنـ الـمـاهـدـىـ،ـ خـلـفـ الشـجـرـتـيـنـ ..

وـعـنـدـمـاـ اـسـتـيقـظـتـ،ـ وـجـدـتـ « جـريـسـ »ـ جـالـسـةـ إـلـىـ
جـوارـىـ وـقـدـ اـحـضـرـتـ مـعـهـاـ بـعـضـ الـطـعـامـ وـبـعـضـ الـلـبـنـ
لـأـخـذـهـ مـعـىـ فـيـ رـحـلـةـ الـعـودـةـ ..

كـانـتـ النـسـمـاتـ قدـ أـصـبـحـتـ بـارـدـةـ عـلـىـ نـحـوـ لـطـيفـ
.. وـكـانـتـ الشـمـسـ قدـ أـوـشـكـتـ عـلـىـ المـغـيـبـ فـرـاءـ خـطـ
الـأـفـقـ وـبـدـاـتـ تـبـاشـيرـ الـمـسـاءـ.ـ تـغـطـىـ أـنـوـارـ الـشـفـقـ ..
وـتـرـخـيـ إـسـتـارـ الـظـلـامـ روـيدـاـ روـيدـاـ ..

ووقفنا متقابلين وكل منا يمسك بيدي الآخر ..
 تماماً مثلما فعلنا حين التقينا في الصباح .. وقالت
 « جريس » بصوت جميل عذب :

- جون .. عندما تتجول داخل البحر .. او
 عندما تكون قادماً الى « مون فليت » من جهة البحر ..
 وهذا ما ارجو حدوثه في يوم ما .. سترى شمعة
 مضاءة خلف نافذتي .. سأحرص على اضاءتها كل
 ليلة حتى تعود .. تماماً كما كنت افعل في الماضي ..
 وعندما ترى نور الشمعة في نافذتي .. اعرف جيداً
 أن « جريس » مازالت تذكرك وتنتظرك .. اما اذا
 جئت يوماً ولم تر نور الشمعة ، فاعلم ان « جريس » قد
 ماتت !!

الفصل السادس عشر

في القلعة ..

كان الوقت متاخراً حين وصلت إلى « كهف جوزيف » لأنام فيه آخر ليلة ..

وفي الليلة التالية أرسلتينا السفينة « بون أدفندر » أحد قواربها ليأخذنا من الشاطئ، حتى نصعد إلى ظهرها .. ومنذ ذلك رأيت مجموعة من الرجال والبحارة أعرف الكثيرين منهم .. وتحدثوا معى بلطف وترحاب ..

وبالرغم من سعادتي بوجودي بين هؤلاء الرجال

اً لا ان شيئاً من الحزن قد ملا قلبي ونحن نغادر ساحل
« دورست » .. حيث يوجد الكهف الذي عشت فيه اكثر
من شهرين ..

وفي صباح اليوم التالي انزلتنا السفينة في بلدة
« كاوز » ومن هناك واصلنا السير على الأقدام حتى
قرية « كاريسبروك » .. ودخلنا إلى حانة « باجل »
حيث تناولنا طعاماً شهياً .. ونمت على سرير جيد
ونظيف سعدت به كثيراً حين تذكرت فراشى الرملى
في « كهف جوزيف » ..

واتفقنا مع « المزفير » على الا اظهر كثيراً خارج
حجرتى او خارج الحانة .. ولذلك فقد كنت اقضى
أغلب الوقت في آخر ركن بالحانة وقراءة العديد من
الكتب التي وجدتها هناك .. اما « المزفير » فقد كان
يقضى اغلب النهار بالخارج .. وتردد على القلعة
عدة مرات .. وعلم ان القلعة تستخدم الآن كسجن
لأسرى الحرب من الجنود الفرنسيين .. وأخبرني انه

استطاع أن يعقد صداقه مع بعض حراس القلعة ..
وتمكن بذلك من الدخول إلى القلعة ورؤيه البئر ..



كانت هناك حديقة تقع خلف حانة « باجل » .. يمر
بها مجرى هائى صغير .. و كنت أفضل الجلوس فى
تلك الحديقة فى فقرة المساء .. وجاءنى « المزفير »
حيث أجلس ، وجلس بجانبى وقال :

ـ لقد حاولت أن أضع خطة لكي نحصل إلى البئر
وحدنا دون أن نخبر بذلك أحداً .. ولكنى وجدت أن
هذا الأمر مستحيل تماماً .. وهناك رجل يتولى حراسة
هذا البئر ، ويدون مساعدة من هذا الرجل لن نستطيع
أن نفعل شيئاً .. ولذلك فقد اضطررت لأن أخبره بإن
هناك جوهرة ثمينة مخبأة في هذا البئر ونحن نعرف
مكانها .. فوعدهنى بأنه سيساعدنا في الهبوط إلى البئر
للبحث عن هذه الجوهرة بشرط أن يحصل هو على ثلث
قيمة الجوهرة الثمينة أو أية جواهر أخرى نعثر

عليها . . . والحقيقة أني لا أثق في هذا الرجل ولكن ليس
أمامنا حل آخر . . . ولهذا فقد اتفقت معه على أن
نقابله عند بوابة القلعة في الساعة السادسة من صباح
الغد . . . ويجب أن تكون متذكرين في ثياب عمال بناء
 جاءوا ليصلحوا جدران البئر . . . وسيتولى هو أمر
دخولنا إلى القلعة وإلى البئر ! . . .

وهي الصباح المبكر غادرنا حانة « باجل » ونحن
متذكرين في الثياب المتყق عليها . . . وكانت الأمطار
الغزيرة قد ظلت تنهمر طول الليل . . . وما زالت بقايها
تنهر أيضاً في هذا الصباح . . . وعندما وصلنا إلى
بوابة القلعة وجدنا من يتوقع مجيئنا . . . ففتحت لنا
البوابة ودخلنا . . . ودعانا حارس البوابة إلى بعض
الشراب ولكن « الرزفيرا » شكره ولم يقبل دعوته وفضل
أن يبدأ العمل فوراً . . .

وسار الرجل أمامنا وسرنا خلفه . . . وعبرنا
الساحة الرئيسية إلى الجانب الآخر . . . وهناك أخرج
الرجل مفتاحاً كبيراً وفتح به باباً ضخماً دخلنا منه إلى

ساحة أخرى أقل مساحة ، وفي وسطها مبني مربع
الشكل مصنوع من الخشب .. وفتح الرجل باب هذا
المبني ودخلنا جميعا وقام الرجل باغلاق الباب من
الداخل .. لقد وصلنا الى البئر أخيرا ..

وعندما نظرت الى الرجل لم استرح الى ملامح
وجهه ولا الى شكله العام .. وفقدت ثقتي فيه .. و اذا
كانوا يقولون ان هذه الجوهرة الثمينة تجلب التغasse
من يمتلكها .. فعما لا شك فيه ان هذا الرجل سيكون
أول متاعبنا ومشاكلنا اذا عثينا على الجوهرة ..

كان هناك برميل خشبي معلق ببكرة الحبال فوق
البئر ، فجذب « الزفير » البرميل ناحيته وقال لى :

— سأنزل انا في هذا البرميل .. وسيتولى هذا
الرجل الطيب انزال البرميل بيده .. وعليك يا جون
ان تمسك بطرف هذا الحبل في يدك وسامسك انا بطرفه

الآخر في يدي . . . أن هذا الجبل طوله ثمانون قدمًا بالضبط . . . وعندما يصبح هذا الجبل مشدوداً بين أيدينا فعليك أن تطلب من الرجل الطيب أن يتوقف فوراً عن إنزال البرميل . . . !

لم اقتصر بذلك الخطة وعارضتها فوراً . . . لأنها ستجعلني وحدي مع هذا الرجل الذي لا أثق فيه إطلاقاً وقد يكون من الأفضل أن انزل أنا إلى البئر ويفسّي « الزفير » مع الرجل . . . لأنه يستطيع أن يتعامل معه اذا صدرت منه أية نية سيئة . لذلك فقد قلت « لا لـ الزفير » وانا انتظر اليه نظارات ذات معنى :

- لا . . . دعني انزل في البرميل لأنني حسفي وخفيف الجسم . . . وابق انت هنا لمساعدة هذا الرجل الطيب ! . . .

استحسن « الزفير » هذه الخطة ولكن الرجل قد استاء من هذا التغيير غير المتوقع بالنسبة له ، لذلك فقد قال « لا لـ الزفير » :

ـ ان خطتك المسابقة افضل كثيرا من هذه
الخطة ..

ولكن « المزفير » لم يعر اي التفات الى كلمات
الرجل بعد ان فهم ماكنت اعنيه بنظرات عيني .. وقرر
« المزفير » في النهاية ان يبقى هو مع الرجل ، وأن انزل
انا الى البئر ..

وفي الحقيقة فقد كنت اخشى ان يكون الهواء
فاسدا في اعماق البئر ، لذلك فقد استدرت نحو
« المزفير وسأله :

ـ هل انت متأكد من ان البئر نظيف وأن مواده
صالحة للتنفس ؟ !

اجاب « المزفير » :

ـ بالتأكيد .. لقد اختبرته امس .. وأسلحت
شمعة مشتعلة مربوطة بحبل الى قاع البئر .. وظللت
الشمعة محافظة على شعلتها حتى وصلت الى سطح

الماء في البئر . . وأى مكان يصلح لاستمرار الشمعة مشتعلة يصلح بالطبع لتنفس الإنسان . . وعلى أية حال فلكي تكون مطمئنا سنبعد التجربة أمامك . .
احضر لنا شمعة أيها الرجل الطيب !

واضطر الرجل إلى احضار شمعة وهو متساء . . وثبت الشمعة في قطعة من الخشب بعد أن أشعلها . . وأدلاها بحبل رفيع إلى أعماق البئر . . وظللت الشمعة تنزل رويدا رويدا إلى أن أصبحت مثل نقطة صغيرة من الضوء حين لامست سطح الماء . . وعندئذ بدأ الرجل يرفع الشمعة مرة أخرى حتى أخرجها خارج البئر . . ثم أخذ حبرا صغيرا والقاه في البئر . . واصطدم الحجر عدة مرات بجوانب البئر اثناء سقوطه . . ثم دوى بصوت عميق مكتوم حين غاص الحجر في مياه البئر . . ونظر الرجل إلى وكأنه يقول لي في سره: هكذا سنسمع صوتك وانت تسقط في هذا البئر !! . .

وتقدم « المزفير » ووضع يده فوق كتفى وسالنى :

- هل انت متأكد يابني من انك قادر على النزول
الى هذا المبير ؟! .. اني مستعد ان افقد كل مجهرات
العالم ولا افقدك انت !

فاجبته بكل ثقة :

- نعم .. اني قادر على النزول ولا اخاف . !



الفصل السابع عشر

النزول الى البئر

وبدا البرميل ينزل بي الى اسفل البئر رويدا رويدا . . وكلما نزلت الى اسفل خف الضوء واظلمت جدران البئر . . وعندما نظرت الى اعلى وجدت فوهة البئر عبارة عن دائرة من الضوء تبدو مثل القمر . .

واستمر النزول بطيئا الى ان وصلت الى نهاية الجبل الذي ادلاه « الزفير » من اعلى والذى يبلغ طوله ثمانين قدما بالضبط ، وعندئذ صاحت بالرجلين ان

يتوقفا عن انزال الحبل الذى يحمل البرميل . وتوقف
الهبوط فورا ..

كانت جدران البئر مبنية باحجار مربعة متماثله فى
الشكل ، وأخذت أفحصها حمرا حمرا ولكنى وجدتها
كلها متشابهة ولا يوجد بينها أى حجر مميز باي
علامة .. وسمعت صوت الرجل العارس وهو يصبح
بى عتسائلا :

ـ هاه .. هل وجدت شيئا .. ؟! هل ترى المكان
جيدا .. ؟ !

فصحت قائلا :

ـ لا .. لم أجد شيئا .. يا « الزفير » .. هل
انت متأكد من ان حبلك طوله ثمانون قدم بالضبط ؟!
وسمعت الرجلين يتحدثان مع بعضهما ولكنى لم
اسمع شيئا مما كانوا يقولاه .. وأخيرا صاح بى
ـ « الزفير » :

- جون . . . يقولون ان الأرض قد ارتفعت قليلا
في هذه المنطقة بمرور الزمن . . . وعليك ان تبحث في
مكان أكثر عمقاً من المكان الذي تقف فيه الآن . .
وسوف تنزل بالبرميل قليلاً فانظر جيداً . .

واخذ البرميل ينزل بي مرة أخرى ولكن ببطء شديد
اتاح لي أن افحص جميع الأحجار بدقة شديدة . .
وتجاء لاحظت وجود علامة صغيرة على شكل حرف
«Y» وهو الشعار الذي كانت تتخذه عائلة «الموهون»
. . . اذن فالجوهرة الثمينة مخبأة خلف هذا الحجر . .
لقد وصلت اليها أخيراً . . . وطلبت من الرجلين أن
يتوقفا عن انتزاع البرميل . . . وأن يحركا البرميل قليلاً
ناحية الجانب الآخر من البئر . .

واخذت أحفر حول الحجر محاولاً زحزحته من
مكانه . . . وسمعت هزة أخرى صوت المارس وهو
يصبح :

- ماذا تعمل الآن؟ . . . هل وجدت شيئاً؟ . . . هل
وجدت شيئاً؟ . . . !

وتضليلت هذه المرة من صوت هذا الحارس ..
لما يصبح مثلكما مكنا .. بينما ظل « الزفير » صامتا
طول الوقت !!

وتمكنت أخيراً من زحزحة الحجر وخلعته من جدار
البئر ووضعته في البرميل جوار قدمي .. ومددت يدي
إلى داخل الثقب الذي كان يشغلها الحجر فعثرت على
لفة صغيرة تحسستها باصابعى فإذا بداخلها شيء
صلب وكروي .. وما أن فتحت الملفة حتى وجدت
بداخلها ماسة ضخمة !!

لم أكن قد رأيت في حياتي من قبل أية قطعة من
الماس .. لا صغيرة ولا كبيرة .. ومع ذلك فقد
احسست أن هذه الماسة التي عثرت عليها هي أجمل
الماسات في العالم .. كان ينعكس عليها ضوء الشمعة
التي كنت أحملها في يدي الأخرى فيخرج منها على
 الفور بريق من الألوان المبدعة المبهرة .. ولم
استطع أن أبعد عيني عن جمالها وبريقها .. ومر
بذهني سيل الذكريات والأحلام التي كنت أصور نفسي

فيها سعيداً ممتنعاً بالغنى والثراء .. والعودة الى
ـ من فلبيت ، .. وحبي « لجريس » ، ..

واقفت على صباح الحارس من جديد :

ـ ماذا تعمل الان ؟ .. هل وجدت شيئاً ١٩٠٠

وصحبته بالرجلين أعلى البئر :

ـ نعم .. لقد وجدت الجوهرة .. ارقماني الان
إلى أعلى ١١٠٠

وأخذ البرميل يرتفع بسرعة .. وظلت الأحلام
تراودني أثناء المصعود .. وتنادكت صوت « جريس »
العنابي الجميل وهي تقول : كن حذرا .. ان هذه
الجوهرة قد تجلب لك النعasse !

وعندما أصبحت قريباً من فوهة البئر ، توقف
الحارس عن جذب المحبيل وأصبحت معلقاً .. واندھشت
لأنه كان من المفروض أن يظل يسحب المحبيل إلى أن
اخراج سالماً من البئر وأعود هرة ثانية إلى الأرض ..
ولكنني لاحظت أن الحارس مد يده إلى وقال :

- أين الجوهرة .. أين الجوهرة .. اعطني
ايتها !! ..

ووضعت الماسة بين أصابعى لكي أريها «الزفير»
• ولكن الحارس مد يده أكثر وأراد أن يخطفها ..
ولاحظت في عينيه شيئاً ذكرني بحكاية علاء الدين
ومصباحه السحري .. وتذكرت أن علاء الدين رفض أن
يعطى المصباح للساحر قبل أن يخرج منه من داخل
الكهف .. لقد كان علاء الدين يخشى أن يحصل الساحر
على المصباح ثم يغلق عليه باب الكهف ويصبح مدفوناً
تحت الأرض .. وعاود الحارس صياغة هزة أخرى :

- اعطني الجوهرة .. !

فأجبته بكل ثقه :

- اخرجنى أولاً من البئر واعطيك الجوهرة ..

فقال الحارس بسخاوة :

- لا .. اعطني الجوهرة أولاً .. إن ذلك أكثر



٠٠ في البئر

أمانا . . فريما تسقط الجوهرة من يدك أثناء خروجك
من حافة نوحة البئر . .

ثم صاح مرة أخرى بصوت أكثر هضبا :

- قلت لك أعطني الجوهرة . . هاتها !!

وهنا تدخل « الزفير » الذي لم يتقبل أن يعذّب
الحارس بهذه الطريقة . . فقال له :

- أرقعة أولاً خارج البئر . . أن الجوهرة ملك
لهذا الصبي ، وسوف نعطيك بذلك الذي اتفقنا عليه وهو
ثلث قيمة الجوهرة بعد أن نبيعها . .

قال الحارس بطريقه شرسه :

- أن الجوهرة ليست ملكاً له . . ولا ملكاً لك أنت
أيضاً . . إنها ملكي أنا . . لأن البئر بترى أنا . . وقد
سمحت لكما بالنزول إلى البئر لاحضار الجوهرة . .
وسوف أقوم أنا ببيعها وسأعطيك نصف قيمتها . . أما
هذا الصبي فسأعطيه قطعة نقود ذهبية كمكافأة له . .
ومعذرة يكفي !

وقال « الزفير » :

— لا تكن غبيا .. ان الجوهرة ملك للصبي ..
وسوف يحصل على حقه كاملا ..

وقال الحارس بسرعة :

— أنا لست غبيا بل أنت الغبي .. ان اسمك هو
« الزفير بلوك » ومتلك مكافأة قدرها خمسون جنيها
من يقبض عليك .. ومكافأة أخرى قدرها عشرون
جنيها من يقبض على هذا الصبي .. وانتعا الآن في
قبضة يدي ويمكتنني أن احبسكم داخل هذا المبني
الخشبى واسلمكم الى الجنود .. فهل أنا الغبي أم
انت .. انى لن ادعكم تخرجان من هنا الا اذا اخذت
الجوهرة .. !

وعندما تبيّنت هذا الموقف الغريب من جانب
الحارس ، خبات الجوهرة داخل ملابسي .. وقررت
ان ابذل كل جهدى فى الدفاع عنها بكل طريقة ممكنة ..

ونظرت الى اعلى ولاحظت ان الحارس قد اخرج
مسدسه من جيبه .. فصحت على « الزفير » مهدرا :

ـ احترس يا « الزفير » .. احترس !

وفي تلك اللحظة ضرب الحارس مسدسه نحو
« الزفير » وقال مهددا :

ـ اياك ان تتحرك .. انى اقبض عليك الان ..
وادا صدرت منك اية حركة فساططق عليك النار وارديك
قتيلا واحصل على الخمسين جنيها ..

وفجأة اطلق الحارس ضرب « الزفير » الذى
كان يقف على الجانب المقابل من حافة البئر .. وكان
من المتوقع ان « الزفير » قد تصيب بالطلقة التى اطلقت
عليه من تلك المسافة القريبة .. ولكن الطلقة طافت
وضربت الحافة العليا للبئر ولم يصب « الزفير » بشيء ..
ـ وعندئذ القى الحارس مسدسه الفارغ من الرصاص
واندفع نحو « الزفير » فى هجوم وحشى .. وأمسك
رقبة « الزفير » بين يديه ..

كان الحارس أكثر شباباً ، ولكن « الزفير » كان أكثر قوة .. ونشبت بين الرجلين معركة شرسة ..

وبذلت كل جهدي حتى صعدت خارجاً من البئر لكي أساعد « الزفير » في معركته ضد الحارس .. ولكن ما أن وقفت إلى جانب حافة البئر حتى وجدت «الزفير» في غير حاجة إلى مساعدتي .. كان قد تغلب على الحارس وأوشك أن يلقي به على الأرض .. وكانت ذراعاً الحارس تحيطان بجسم « الزفير » .. ولكنه رفعهما ومدهما ليمسك برقبة «الزفير» مرة أخرى وفي تلك اللحظة ألقاه « الزفير » على الأرض بقوة .. وقام الحارس بسرعة وتراجع عدة خطوات إلى الخلف ليعاود هجومه مرة أخرى .. فاذا به ينزلق على المياه التي كانت تحيط بحافة البئر ، فسقط على الأرض وقدماه مرفوعتان إلى أعلى ورأسه متوجه إلى أسفل وسقط في فوهة البئر .. وفي لمح البصر مدحت يدی لكي امنعه من السقوط ، الا ان يدی لم تمسك إلا بسلسلة المفاتيح التي كانت معلقة في حزام حول

وسطه .. وسقط الحارس فى فوهة البئر وأحدث سقوطه صوتا مرعبا وهو يتخاطب فى جدران البئر ثم دوى الصوت مرة اخرى حين سقط فى مياه البئر ..
وقلا ذلك صمت تام ..

أسرع « الزفير » نحو البرميل ، ودخل الى فوهة البئر وهو يقول :

ـ هيا يا جون .. انزلنى بسرعة .. سأحاول ان
انقذه !!

وأدلىت البرميل بسرعة الى أسفل البئر .. وأخذت انصت باهتمام لا عرف النتيجة .. واخيرا طلب مني « الزفير » ان أرفع البرميل الى أعلى .. وعندما خرج من البئر لزم الصمت وعرفت بذلك ان الحارس قد عات !

وقلت متتسعا :

ـ دعنا نلقى هذه الجوهرة فى البئر يا « الزفير »
انها لن تجلب لنا سوى التعasse والموت !

فقال « الزفير » :

- لا .. اعطنى الجوهرة لاحتفظ بها من اجلك ..
انا لا اريد شيئا منها ولا ارغب في الحصول من ورائها
على اي بحسب .. اريد فقط ان امنعك من المقامها في
البعير !

وهكذا اعطيت الجوهرة « لالزفير » ..

وعدنا بسلام الى حانة « باجل » .. وجمعنا
حاجياتنا بسرعة .. واعتذرنا لصاحب الحانة بأن
عملا ما جعلنا نرحل بسرعة .. واتجهنا الى الميناء
القريب من الحانة .. وركبنا سفينة هولندية كانت
على وشك الرحيل فورا الى هولندا .. !



الفصل الثامن عشر

ضياع الجوهرة ..

وأنزلتنا السفينة في ميناء « لاهاي » بهولاندا
وتعتبر هذه المدينة أفضل مكان في العالم لتجارة الماس
.. وكان « الزفير » يعرف بعض اللغة الهولندية وذهبنا
على الفور لبحث عن تاجر ماس مناسب يمكن أن يبيعه
جوهرتنا ..

وعلمنا أن « الدوبراند » هو أغني تاجر الماس
وأكثرهم شهرة ..

و قبل غروب الشمس ينحو ساعة ، ذهبنا إلى بيت
هذا التاجر .. وكان بيته غير مرتفع ، يطل على الطريق

الرئيسي ، وجد رانه مطلية باللون الأبيض بينما طليت
نوافذه باللون الأخضر . . وكانت هناك حديقة واسعة
ملحقة بخلف البيت . . وقرعنا جرس الباب ، ففتح
لنا خادم طويل الجسم فأخبرناه باننا نريد أن نبيع
جوهرة . .

دعانا الخادم الى الدخول . . وذهب ليخبر سيده
بهذا الأمر . . وبعد عدة دقائق جاء التاجر «المدوبراند»
ل مقابلتنا . . وكان ضئيل الجسم ويبلغ عمره نحو
سبعين سنة . . وقال لنا بصوت هادئ :

— ماذا يا ابنائي . . لقد سمعت ان لديكما جوهرة
تریدان بيعها . . انا لا اتعامل في الجوامر العاديّة . .
فلا ترياني ايها الا اذا كانت تستحق . .

في تلك اللحظة كنت امسك بالجوهرة بيدي ،
فقد منها اليه . . ورأيت ملامع الدهشة تبدو واضحة
في وجهه حين امسك بالجوهرة ورأى حجمها . .
وامضي التاجر بالجوهرة بين اصابعه ليفحصها عن

قرب . . وتغيرت نبرات صوته وهو يقول لنا هذه
المرة :

- لا يوجد هنا ضوء كاف . . تعاليا معن ! . .

وتبعناه الى غرفة اخرى . . ومن نافذة هذه الغرفة
تظهر الحديقة الملحة بالبيت وقد غمرتها الاشعة
الحمراء للشمس الغاربة . . وجلس « الدوبراند » الى
مائدة في وسط الغرفة ، وامسك الماسة بين اطراف
اصابعه وعرضها للضوء واخذ يتحقق بها بكل عناية
واهتمام . . ولم استرح لهذا الرجل الذي التفت الى
فجأة وسالي :

- ما اسمك أيها الصبي . . ومن أين جئت . .

وفوجئت بالسؤال فأجبته بغياء :

- اسمى جون ترشارد . . وجئت من مeson
قليل . .

وزغبي - « الزفير » ليحذرنى ولكن الوقت كان قد
فات ولم ينفع هذا التحذير . . ولشددة دهشتى لاحظت

ان التاجر قد دون اسمى في دفتر كان موضوعا على
المائدة .

وقد تبدو كتابة اسمى في هذا الدفتر كشيء طبيعي
ومتوقع بالنسبة لأى تاجر مجوهرات .. ولكن لا ادرى
لماذا أغضبى هذا التصرف .. بالرغم من ان الاحداث
قد اثبتت فيما بعد ان قيام هذا التاجر بكتابة اسمى
وموطنه في دفتره كان اهم شيء حدث في حياتى
كلها ! ..

ونظر الى التاجر بعد ان كتب ماكتب وقال :

- هاه .. من « مون فليت » .. ولكن قل لي كيف
حصلت على هذه الجوهرة ؟ !

اجاب « الزفير » على هذا السؤال بسرعة :

- اتنا لم نحضر الى هنا لنجيب على استئتك ..
بل لنعرف اذا كنت ترغب في شراء هذه الجوهرة ام
لا .. ومامو الثمن الذي يمكنك ان تدفعه .. ويكتفى

ان تعرف اتنا بحصاره انجليز .. وان هذه الجوهرة
ملكنا .. واننا نريد بيعها .. !

قال التاجر العجوز :

- نعم نعم .. اعرف ذلك .. ولكن لأنى لا اعرف
المصدر الحقيقى لهذه الجوهرة .. فان من الملازم ان
افحصها جيدا حتى اتأكد من أنها جوهرة حقيقية
وليس مزيفة ..

ثم احضر زجاجة صغيرة بها سائل أخضر ، ووضع
نقطة منه فوق الجوهرة ، ثم حکها في حجر اسود ..
وكلت ارقب ملامع وجهه وهو يقوم بهذا الفحص ..
ولكنى وجدت وجهه جامدا وكأنه قد من حجر ..
واخيرا صدمتني بقوله :

- جون .. يابنى .. هذه الجوهرة ليست ماسة
حقيقية .. أنها مصنوعة من الزجاج .. ولكنها
مصنوعة جيدا وبدقة شديدة .. وهي مع ذلك احسن
قطعة من الزجاج رأيتها في حياتي .. ولكنها ليست
من الماس !

اظلمت الدنيا في عيني وكدت أسقط على الأرض
مفجيا على ... لقد تبدلت في لحظة كل أحلام الثراء
... لقد ذهبت كل جهودنا والمخاطر التي واجهناها
ادراج الرياح ... وحزنت حزنا لم أشعر به مثله من قبل
طوال حياتي ... وقال التاجر العجوز مشفقا وكانه
يواسيها :

- لا ياجون ... لا يابني ... لا تكون تعيسا إلى هذا
الحد ... أنا لم أقل أنها لا تساوى شيئا ... فبالرغم من
أنها مصنوعة من الزجاج ، الا أنها مصنوعة بطريقة
فنية جيدة ... وسوف أعطيكما عشرة قطع من النقود
الفضية ثمنا لها ... !

وهذا قال « الزفيرو » غاضبا :

- لا ... أنا لم تحضر إلى هنا لنحصل على
نقودك الفضية ... نحن في غنى عنها ويمكنك الاحتفاظ
بها !

ويغضب شديد التقط « الزفير » الجوهرة من يد

التاجر ، وقدف بها من النافذة .. فصاح المتاجر
« الموبيراند » وهو يقفز من فوق مقعده :

- هل أنت مجنون أيها الرجل ؟ ! .. لماذا فعلت
هذا .. لماذا !!

حين ألقى « الزفير » بالجوهرة من النافذة ..
رأيتها تطير في الهواء ، واستقرت على أرض الحديقة
جوار زهرة حمراء كبيرة .. وعندما خرجنا يائسين
من بيت التاجر ، سرنا صامتين في الشارع عائدين
إلى الحانة التي كنا نقيم فيها دون أن نتبادل كلمة
واحدة .. ووصلنا إلى الحانة أخيرا .. وجلسنا
لتناول وجبة العشاء ..

وبطبيعة الحال كان ذهني مشغولا بما حدث ..
وأخذت القلب الأمر من جميع جوانبه .. وفجأة توقفت
عن تناول الطعام ، وفرزعت واقعاً وقت :

- الزفير . . . إننا بلهاء . . . إن الجوهرة ماسة
حقيقية . . . لقد استطاع التاجر أن يفتشنا ولم يقل لنا
الحقيقة !

نظر إلى « الزفير » في صمت للحظة وجيزة . .
ثم قال في هدوء وحيرة :

- قد تكون على صواب يا جنون . . ولكننا
القيناها من النافذة ولن نستطيع العثور عليها . .

قلت بشيء من الارتياح :

- ولكنني رأيتها وهي تسقط في الحديقة . .
وأعرف أين سقطت بالضبط !

وتساءل « الزفير » :

- ولكن لا تظن أن التاجر « الدوبراند » قد رأها
وهي تسقط ويعرف مكانها !؟ . .

وذكرني هذا السؤال بأنني قد رأيت التاجر وقد
جحظت عيناه وهو يتبع مسار الجوهرة حين القاها

ـ « الزفير » من النافذة .. ولكن لا أدرى ما اذا كان يعرف أين سقطت بالضبط أم لا .. ولذلك فقد قلت :

ـ لا أدرى يا « الزفير » .. دعنا نذهب لنرى ..
أنا متأكد من أن الجوهرة قد سقطت بجوار زهرة
حمراء كبيرة ذات ساق طويلة .. هيا نذهب فسوف
نجدها هناك !

وظل « الزفير » صامتاً نحو دقيقة ثم قال :

ـ أنا محظوظ فعلا .. ولكن يبدو أنك على صواب
ياجون .. واعتقد الآن أن الجوهرة ماسة حقيقة ..
بل وكنت أعرف أنها ماسة حقيقة عندما أقيمتها من
النافذة .. وأنا على يقين بأننا سنعيش سعداء بدونها ..
فمنذ أن سمعنا عنها واكتشفنا سر مخبئها ونحن
لم نحصل على شيء سوى التعasse .. وما نحن الآن
بعيدين عن وطننا .. وهناك رجلان قد قتلا .. دع هذ
الجوهرة تذهب إلى حال سبيلها .. دعها حيث هي
وأينما تكون .. لا داعي للبحث عنها حتى نتحاشى
التعasse الذي تسببها !!

ولكنى لم اقتنع .. وأصررت على الذهاب الى
الحديقة لاستعادة الجوهرة .. ولم يجد « الزفير »
مناصا سوى أن يصاحبنى ويدهب معى .. !

كان ظلام الليل قد حل حين كنا نسلق السور
الحجرى الذى يحيط بحديقة بيت التجار « الدوبراند »
.. وما أن أصبحنا فى أرض الحديقة حتى تقدمت إلى
مكان الزهرة الحمراء الكبيرة ذات الساق الطويلة
وأخذت أتحسس الأرض بيدي .. « تحسستها قطعة
قطعة ولكنى لم أثر على شىء .. وقلت « لالمزفير » :

ـ لقد اختفت الجوهرة .. لابد أن « الدوبراند »
قد سبقنا فى الوصول إليها .. لقد أخذها هذا التجار
الغشاش !

ونظرت تجاه بيت التجار ، فرأيت نورا مضاء
خلف أحدى النوافذ .. فاقتربت من النافذة واقرب

معنی « الزفير » . . . وشاهدنا التاجر وهو جالس الى
مائدة وأمامه الجوهرة الثمينة . . . حاستنا التي فقدناها
وحصل هو عليها دون حق . . . انها اذن ماسة حقيقية . .
وكان التاجر قد وضعها بجانب مجموعة اخرى من قطع
الماس . . ولكنها كانت تبدو قطعا صغيرة تافهة بجانب
حاستنا العلقة . . وطفى جمال حاستنا على جميع
قطع الماس الاخرى . . وخيل الى ان حاستنا العظيمة
تناديني بصوت جميل اسمعه في اعمقى : « السيدة اجمل
حاسات العالم . . السيدة ملكة على جميع حاسات
الاخرين . . السيدة مملوكة لك انت وحدك . . ميا تقدم
واستعدنى من بين يدي هذا التاجر !!

ولم افق من هذا الخيال الا عندما لمسني « الزفير »
في ثراعى وهمس في اذنی :

— ميا يا « جون » . . دعنا نعود . . اتنا لانريد
هذه الجوهرة التي لن تجلب لنا الا التعasse والشقاء
. . ميا نعود يا « جون » . . الا تسمعني ؟ !

كنت اسمعه فعلا ولكنى لم اقتصر باية كلمة . . ولم
يكن يدور في ذهنى اي شيء سوى ضرورة استعادة

هذه المائة .. وووجدت نفسي أصعد الى حافة النافذة
بكل سرعة ، واقفز الى داخل الحجرة التي كان يجلس
بها التاجر ، وتقدمت في لمح البصر الى المائدة وأمسكت
الجوهرة بيدي ..

ولكن في هذه اللحظة بالضبط ، هب التاجر
« الدوبراند » واقفا واحداً يصبح مدعوراً :

- النجدة .. النجدة .. لصوص .. لصوص !
وفي الحال دخل سنتة من الخدم .. واحاطوا بنا
.. وقبضوا علينا .. !





وكان « الدويراند » يفحص الجوهرة بعناية

الفصل التاسع عشر

السجن ..

ندعوا الى المحاكمة .. وطبعا لم يصدق القاضى
ایة كلمة من قصتنا التي حكيناها بكل تفاصيلها ..
وحكم علينا بالسجن .. !

وبعد عدة ايام اخذونا الى سجن بعيد يسمى
« ايمجورن » .. وربطوا ايدينا بحبال طويل مع
سجيناء اخرين .. وساروا بنا عبر طريق طويل شاق
يؤدى الى ذلك السجن ..

وبعد ان بقىت في هذا السجن نحو أسبوع ..
 جاء بعض الحراس واخذوني الى كوخ صغير .. وفي

وسط هذا الكوخ من الداخل رأيت كرسياً ضخماً
جلسني الحراس عليه وأوثقوني بالجibal حتى أصبحت
وكانى أنا وهذا الكرسي قطعة واحدة .. ولم أكن
أدرى حتى هذا الوقت ما سوف يفعلونه بي بعد أن
كتفونى كل هذا التكثيف ..

ثم أدركت ما سوف يفعلونه بي .. لقد رأيت ناراً
مشتعلة في هذا الكوخ القدر الملعون برايحة كريهة ..
وجاءوا بختم مصنوع من الحديد المحمى بالنار ،
ووسمونى على جبهتي بعلامة على شكل حرف « Y »
وهو أول حرف من « Ayemjowin » اسم هذا السجن ..
وذلك حتى يعرف الجميع أنى سجين اتبع هذا السجن
الرهيب ..

وهكذا خرجت من هذا الكوخ المرعب ، وعلى
جبهة حرف « Y » وهو الحرف الذي كانت تتخذه
عائلة « الموهون » شعاراً لها ..

وبعد مرور عدة أيام قابلت « الزفير » اثناء العمل

في ساحة السجن .. وكان يحمل هذه العلامة أيضا
على جبهته ..

ومرت سنوات طويلة ..

كل يوم من الأيام كان شبيها باليوم السابق ..
ولا تغير اطلاقا .. نخرج الى العمل الشاق .. ونعود
لتناول الطعام الرديء .. ثم ننام لنحاول أن ننسى
هذا العذاب !!

الفصل العشرون

العاشرة ..

وفي يوم ما بعد انقضاء عشر سنوات في هذا السجن أخرجنا الحراس لا لنعمل في الأشغال الشاقة في الأماكن المعتادة ، وانما سلمنا لمجموعة من الجنود المدججين بالسلاح ، تولوا حراستنا حتى وصلنا إلى ميناء « لاماى » .. وهناك افهمنا أننا سنركب سفينة ستأخذنا إلى جزيرة « جاوه » وهي جزيرة تابعة لهولاندا وتبعد عن أوروبا عدة آلاف من الأميال وتقع وراء الهند .. وأخبرونا أننا سنعمل هناك في المزارع الهولندية لقصب السكر ..

وكانت هذه المصيبة الجديدة نهاية محنة لكل
أمالى . . فلن أتمكن أبداً من رؤية « جريس » مرة
آخرى . . ولن أعود أبداً إلى « مون فليت » . . وطوال
السنوات العشر الماضية لم أفقد الأمل ، و كنت أتصور
أننى سأستطيع المهرب يوماً ما . . أو ربما كانوا
سيطلقون سراحى بعد مدة لا أعرفها . . ولكن الآن
ضاعت كل هذه الآمال والتوقعات . . ضاعت إلى
الأبد . .

وكان « الزفير » أيضاً ضمن السجناء المرحلين إلى
جزيرة « جاوه » . . لقد أصبح الآن رجلاً عجوزاً شاب
شعر رأسه وأبيض . . أين هو الآن من تلك الليلة ذات
الأحداث والمغامرات في « رأس هور » . . حيث كان
أسود الشعر وعلوءاً بالقوة والنشاط والجسارة . . !

ولاحت في خيالي أيضاً تلك الأمسية البديةة التي
لن انسأها أبداً حين جلست مع « جريس » في حديقة
بيتها . . استمع إلى صوتها العذب المرقيق ، وهي
تحثني على عدم التفكير في تلك الجوهرة . . وتحذرني

من أنها لن تتحقق لى سوى الشقاء والتعاسة .. لقد تحققت بالفعل كل كلمات « جريس » وتوقعاتها ..

* * *

وصلنا الى «لاماى» .. وصعدنا الى السفينة التي ستقوم بالمرحلة الى «جاوه» .. وشعرت بشيء من السعادة حين تسللت الى أنفي رائحة نسمات البحر مرة أخرى .. ولكن هذه السعادة انقلب حزنا وغما حين أقلعت السفينة بادئية رحلتها الى تلك البلاد البعيدة ..

أبحرت السفينة لمدة يومين في بحر هادئ .. وفي اليوم الثالث هبت عاصفة ..

وكان معنا في عنبر المسجونين عشرون مسجينا انتابهم الرعب خوفا من تلك العاصفة لأنهم لم يركبوا البحر من قبل وكانت هذه هي تجربتهم الأولى .. أما بالنسبة لنا - أنا والزفير - فقد اعتدنا على مثل هذه العواصف ..

ولكن عندما بدأ الرياح تشتد وتهب في عزف
واخذت الأمواج تضرب السفينة من كل جانب ، قال
« الزفير » :

— أعرف سفنا أكبر من هذه السفينة وأقوى منها
كان مصيرها الغرق والتحطم في مثل هذه العاصفة
العاتية .. وانا اعتقد اننا بالقرب من أحد السواحل
وأرجو الا تكون قريبين من هذا الساحل حتى لا تندفع
الأمواج بالسفينة وتحطمتها على صخور الشاطئ ! ..

في تلك اللحظة فتح باب عنبر المساجين .. ولم
نر الجنود الذين كانوا يحضرون بينما الطعام كما اعتاد
.. بل رأينا رجلاً من بحارة السفينة قال وهو يلقي
البيتا بمفتاح الباب :

— ليساعدكم الله .. تصرفوا بسرعة !! ..

واختفى الرجل ..

وفهم « الزفير » ما يعنيه هذا البحار وقال لبقية
السجيناء :

— معنى هذا أن السفينة ستغرق .. وأنهم يعطوننا
فرصة للنجاة .. !

وقام « الزفير » بفك قيوده وقيود جميع السجناء
الآخرين ..

وكلت أول من خرج من العابر إلى سطح السفينة
.. ولاحظت على الفور أن الجنود والبحارة قد غادروا
السفينة في قوارب النجاة .. ولم يعد باقيا فيها غيري
أنا و « الزفير » وبباقي السجناء ..

كانت العاصفة في عنفوانها .. وأشار « الزفير »
إلى شيء بعيد يظهر خلال طبقات الظلام وسيول المطر
المنهمر .. واقرب من أذني وصاح باعلى صوته :

— نحن قرييون من الساحل !

وأخذت الأمواج العاتية تدفعنا نحو الشاطئ
وصخوره الضخمة .. وبدأت أرى تلك الأمواج وهي
تتكسر على تلك الصخور محدثة أصواتا مرعبة مخيفة
.. ومن الواضح أنها كنا في أحد الجليان .. ورأيت

تلا مرتفعا يبدو شامخا من بعيد . وقد ذكرنى منظره
وشكله بتل اعرفه ورأيته مرارا من قبل .

واقترب مني « الزفير » وصاح في اذنى ولكن
بصوت مبتهج هذه المرة ويتم عن الفرح :

— انظر . . . انظر يا جون !! . . .

ونظرت إلى حيث أشار . . . وادركت على الفور أننا
في خليج « مون فليت » !! . . .

وفي الحال تبددت كل آثار الحزن من وجهه
« الزفير » وامتلا قلبه بسعادة غامرة . . . وصاح في
اذنی :

— ان قوة خفية وغريبة أخذت بيدها واعادتنا إلى
الوطن . . . خير لمى ألف مرة أن أموت غريبا في سفينة
تحطمت على صخور خليج « مون فليت » من قضاء
كل عمرى سجيننا محروما من الحرية . . . اسمع يا جون
. . . إننا سننهك حتما في ظرف أقل من ساعة . . . ومع

ذلك فان علينا ان نبذل كل وسعنا في الكفاح من اجل
الحياة ! ..

أما بقية السجناء الآخرين فقد انخلعت قلوبهم من
شدة الرعب والاحساس بالخوف من الموت .. وركع
بعضهم أمام « الزفير » يستجدونه في أن يقود بهم
قارب النجاة الوحيد الباقي فوق ظهر السفينة . ولكن
« الزفير » كان يعرف مدى خطورة النزول إلى البحر
الهائج في مثل هذه العاصفة وفي مثل هذا القارب ..

فصاحت عالياً ليسمع الرجال صوته :

ـ يا أصدقائي .. ان النزول إلى البحر الآن
معناه الموت والهلاك غرقا .. انى اعرف تماماً ماذا
ال الخليج .. و اذا كنتم تريدون النجاة حقاً فعليكم بالبقاء
على ظهر السفينة .. سوف نصل إلى صخور الشاطئ
بعد نحو نصف ساعة من الآن .. وستتحطم السفينة

على هذه الصخور .. وعلى كل واحد مما عندئذ ان
يكافع من أجل نجاته ! ..

ولكن السجناء لم يقتعوا بهذه النصيحة ، وانزلوا
قارب النجاة الى البحر وركبوه وانطلقا الى مصيرهم
المحتوم :: وهكذا أصبحنا وحدنا على السفينة الموسكة
على الغرق والتي تتقاذفها الأمواج العالية وتدفع بها
الى الارتطام بالصخور ..

واقتربنا رويدا من المنطقة الخطرة التي تتكسر
عليها امواج البحر العاتية موجة وراء موجة حيث
تختلف عنها ملايين الفقاعات البيضاء وكان مياه البحر
تفور بالزید .. وفي كل مرة تضطدم فيها احدى
الأمواج العنيفة بصخور الشاطئ يدوى صوت الارتطام
الرهيب في انحاء « مون فليت » كلها .. وكثيرا
ما كنت اسمع مثل هذا الهدير المرعب وانا راقد على
سريري مستيقظا في بيت خالي .. وأعرف جيدا ما
اعتقد أهالى « مون فليت » إن يفعلوه في مثل تلك

العواصف ، خصوصا عندما يشاهدون سفينة تلعب بها الأمواج قبل أن تحطمها على صخور الخليج ..

في تلك اللحظات تخيلت تماما ما يفعله أهالي « مون فليت » الآن وهم يرون سفينتينا موشكة على الغرق .. تخيلت « راتسي » ومعه مجموعة من رجال القرية يجهلون المصايب ويراقبون السفينة والرياح تحطم صواريها وتمزق أشرعتها .. ويشعر جميع الرجال بالحزن والأسى وهم يفكرون في كيفية تقديم أية مساعدة لإنقاذ الأحياء الراكبين فوق ظهر السفينة .. وسمعت صوت « الزفير » يناديني :

ـ جون .. انظر !!

وخلال اطباقي المظلم ونبيول المطر ، رأيت نقطة من الضوء تلمع مثل الجوهرة .. وقال « الزفير » :

ـ إنها « منارة ماسكيو » .. لا تذكرها !؟

ـ آه .. هاهى « جريس » ، مازالت وفيه بالعهد الذى قطعته على نفسها .. لقد وعدتني بأنها ستشعل شمعة

خلف نافذتها كل ليلة حتى يهتدى بها بحارة السفن
العاشرة الى ان اعود اليها مرة اخرى .. انها ما زالت
تنتظرني .. وهازدا عائد اليها الان .. ولا يفصلنى
عنها سوى هذه الامواج البيضاء العاتية التي تحمل
الموت في طياتها ..

ولاحظت ان عدد المصايبين التي كان يحملها رجال
« مون فليت » قد ازداد .. ولاشك انهم يرقبون الان
هذه السفينة التي تتحطم قطعة قطعة في عهب الرياح
والأمواج .. وهم لا يعرفون طبعا ان هذه السفينة
لاتحمل على ظهرها سوى اثنين من الرجال .. وان
هذين الرجلين من اهالي « مون فليت » ..

وبدأت السفينة تقترب اكثر واكثر من ارض
الشاطئ، لتلقي نهايتها المحتومة .. واشتد عويل
الرياح وصخب الموج .. وصاح « الرفيق » :

— لقد اقتربت النهاية .. وعلينا ان نلقى انفسنا

إلى البحر مع قدوم الموجة التالية .. و الآن .. هاهي
موجة قادمة .. اقفز يا جون .. اقفز معى .. !

وقفزنا ! ..

و سقطت على يدي بوركيتى فى منطقة لايزيد
عمقها على مترا واحد .. و وقفت على قدمى .. ولكن
المياه الصاخبة غلبتى و انكفيت على وجهى .. و حاولت
الوقوف ثانية .. و رأيت الرجال الواقفين على الشاطئ
و قد تقدموا إلى الخوض فى مياه البحر وكل منهم
يمسك بيده الآخر .. انهم الآن يتقدمون لإنقاذنا والأخذ
بأيدينا .. ولكنى انكفيت مرة ومرة .. و انهضنى
« الزفير » من عثرتى وأوقفنى ثانية .. ولم أعد أرى
 شيئا .. ولكنى أحسست بيدي قوية تمسك بيدي .. !





• وتقى الرجال لإنقاذني •

الفصل الحادى والعشرون

العودة الى ((مون فليت)) ..

غبت عن وعيي ساعات طويلة ..

وعندما افقت .. وجدت نفسى راقدا على سرير
فى حجرة بها مدفأة موقدة .. وفتحت عينى بصعوبة
.. ورأيت رجلين جالسين الى مائدة قريبة من سريري
.. وكانا يتحدثان بصوت منخفض .. وقال أحد
الرجلين :

- ييدو انه سيسقط .. ربما سيعيش ليحكى لنا
من هو .. وماذا حدث .. لابد ان نقسم اليه بعض
الشراب الساخن لأن الليلة باردة .. والمكان هنا فى

هذه الحانة باردة أيضاً .. تصور يا صديقي انني لم
أدخل الى حانة « هوای نوت » هذه منذ أكثر من عشر
سنوات .. منذ أن غادرها « الزفير » !!

وعندما سمعت اسم « الزفير »، قمت جالساً فوق
السرير وأناأشعر بأن الألم يكاد يحطم جميع أعضاء
جسمي .. والتفت حولي في جميع أنحاء الحجرة بحثاً
عن « الزفير » .. ولكنني لم أجده في الحجرة أبداً
سوى هذين الرجلين .. ولذلك فقد صاحت ملائعاً
والخوف يملأ قلبي :

ـ الزفير !! .. أين الزفير !! .. أين هو !! ..
وتقصد الى أحد الرجلين وهو يحاول أن يهدئني ..
والتفت الى زميله الآخر وقال :

ـ انه يخطوف .. انه يهدى !

فصاحت بالرجلين هرة أخرى :

- أنا لا أخطوف ولا أهدى . . . أني أسلامكما عن
« الزفير بلوك » . . . أين هو ؟ !

وعندما سمع الرجلان هذا الاسم ، نظر كل منهما
إلى الآخر نظرات حائرة . . . وأقترب مني أحد الرجلين
فتقذرت على الفور علامته . . . انه « راتسي » . . .

وقال « راتسي » مدهشاً :

- من أنت . . . من أنت الذي تعرف الزفير بلوك ؟ !

وكلت له وانا أكثر منه دهشة :

- الا تعرفني يا « راتسي » . . . لقد افترقنا منذ
زمن طويلاً . . . ولكنني تذكرتك الآن . . . قل لي أين
« الزفير » . . .

احتضنني « راتسي » وأمسك بيدي بين راحتيه
وأخذ يسألني في لهفة . . . أين كنت . . . ومن أين جئت
. . . وما قصة هذه السفينة . . . ولكنني قلت له بالحاج :

— سأحكي لك كل شيء فيما بعد .. ولكن أخبرني
الآن أين « الزفير » ..

نظر إلى « راتسي » وقد بدت غلى ملامع وجهه
علامات الحيرة والدهشة وقال بصوت هادئ :

— الزفير ؟ ! .. لا أدرى أين الزفير .. هل كان
معك على ظهر السفينة ؟ !

فقلت وقلبي يكاد أن ينفجر في صدري :

— كان معى ؟ ! .. انه هو الذي انقذ حياتي ..
انه هو الذي اوقفنى على قدمى بعد أن صفعتنا آخر
موجه .. انه هو الذي كان يأخذ بيدي حتى آخر
لحظة !! ..

وارتسم حزن جارف على وجه « راتسي » وهو
يقول بصوت كثيف :

— اذن فقد كان الزفير معك حتى آخر لحظة ..

يالمسكين .. ان احدا لم يخرج من تلك المسفينة حيا
سواءك .. انت الوحيد الذى خرجمت حيا !!

وبعد يومين كاملين ، قذفت الأمواج بجثة « الزفير » الى ارض الشاطئ .. وحمله الرجال الى حانة « هواى نوت » وأرقدوه على المائدة الرئيسية .. نفس المائدة التي رقد عليها من قبل ابنه القتيل « دافيد » .

وقف الرجال حولى نحو دقيقة او دقيقتين .. ثم أخذوا ينصرفون واحدا وراء الآخر .. وظل « راتسى » واقفا امامي صامتا .. واخيرا بما يتكلم بصوت حزين : .

- سأتركك وحدك مع صديقك .. وسأعود اليك مرة ثانية قبل أن يحل الظلام ..

ثم انصرف « راتسى » وتركني وحدى مع صديقى الذى خطفه الموت فى آخر لحظة بعد أن انفذ حياتى ..

وامتلاً قلبي بحزن عميق .. ودارت في ذهني مئات
الذكريات ..

كان التراب يغطى كل أرجاء الحانة من الداخل ..
وكل شيء ظل كما كان في ليلة المزاد الكثيبة منذ أكثر
من عشر سنوات .. بل ورأيت الشمع المتجمد الذي
سال من الشمعة بعد أن سقط الدبوس .. ما زالت هذه
الأثار كما هي .. !

ثم جلست على مقعد جوار نار المدفأة .. ووضعت
رأسى بين يدى وغرقت في الأحزان ..

ولا أدرى كم مر من الوقت حين شعرت بحركة
خطوات تقترب .. وظننت أن « راتسى » قد عاد كما
وعد .. ولكن شعرت بيد رقيقة وضعت بعنان فوق
ذراعى ، وابتسمت خلفي .. فاذا بي أجد أمامى شابة
طويلة في غاية الجمال والرقة .. كانت « جريمس »
بنفسها .. !

قالت « جريس » بصوت وقيق ناعم :

ـ جون .. هل نسيتني يا جون .. هل رأيت نور الشمعة التي كنت أوردها كل ليلة انتظاراً لعودتك .. هل نسيت أن لك أصدقاء هنا ؟ !

قلت وانا أمسك بيدها بين راحتي :

ـ لم أنس شيئاً ياعزيزتي .. كل الأشياء اذكرها ولم تغب عن ذهني طوال السنوات الماضية .. وانت عندي أغلى الناس جميعاً .. ولكنني لا استطيع الكلام عن الحب .. فانت الآن امرأة محترمة وعظيمة .. وما أنا سوي انسان فقير لا يملك شيئاً .. وأحمل علامة السجناء فوق جبهتي .. !

وقالت « جريس » ببرقة وحنان أكثر :

ـ لا تتحدث عما تملك أو مالا تملك .. ان المال لا يصنع الرجال .. لقد عدت الآن يا جون وانت أكثر ثراء بتجاربك في الحياة .. !

وأستمر حديثنا جوار قار المدفأة لفترة طويلة ..
وتعجبت كثيراً من أمر تلك الشابة الجميلة العظيمة ..
كيف تحتفظ لى بمكان فى قلبها .. وما أنا سوى انسان
فقير لا يملك شيئاً !!



الفصل الثاني والعشرون

النهاية ..

لم يعد باقيا سوى بعض التفاصيل المصغيرة ..
ولكنى أريد أن أخبركم أولا بشأن المعرفة الثمينة التي
ضاعت مني فى هولندا ..

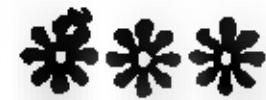
وصل الى إنجلترا « المهر روستن » وهو أحد
رجال القانون الهولانديين الذى يعملون فى « لاماى »
وأرسل الى خطابا قانونيا طويلا يتضمن معلومات فى
غاية الغرابة ..

يقول الخطاب ان تاجرًا شهيرا يدعى « الدويراند »
قد مات أخيرا وترك كل ثروته لمن يدعى « جون ترنشارد »

من قرية « مون فليت » بساحل « دورست » بإنجلترا .
ونظرا لأن هذا التاجر قد مات دون أن يكون له ابن
يرثه فإنه يترك كل هذه الأموال « لجون ترنشارد » لأنه
قد حصل منه بطريق الغش والخداع على جوهرة ثمينة
ولم يعطه ثمنا لها ، بل وادخله إلى السجن .
أن حصل « الدوبراند » على هذه الجوهرة دون وجه
حق . . . ساءت أحواله وحلت به التعasse . . . وشعر أن
هذه التعasse هي عقاب له على غشه وخداعه وخيانته
. . . ولهذه الأسباب كلها فإنه يترك أمواله بعد موته
« لجون ترنشارد » وذلك تكفيرا عن الذنب الذي ارتكبه
.

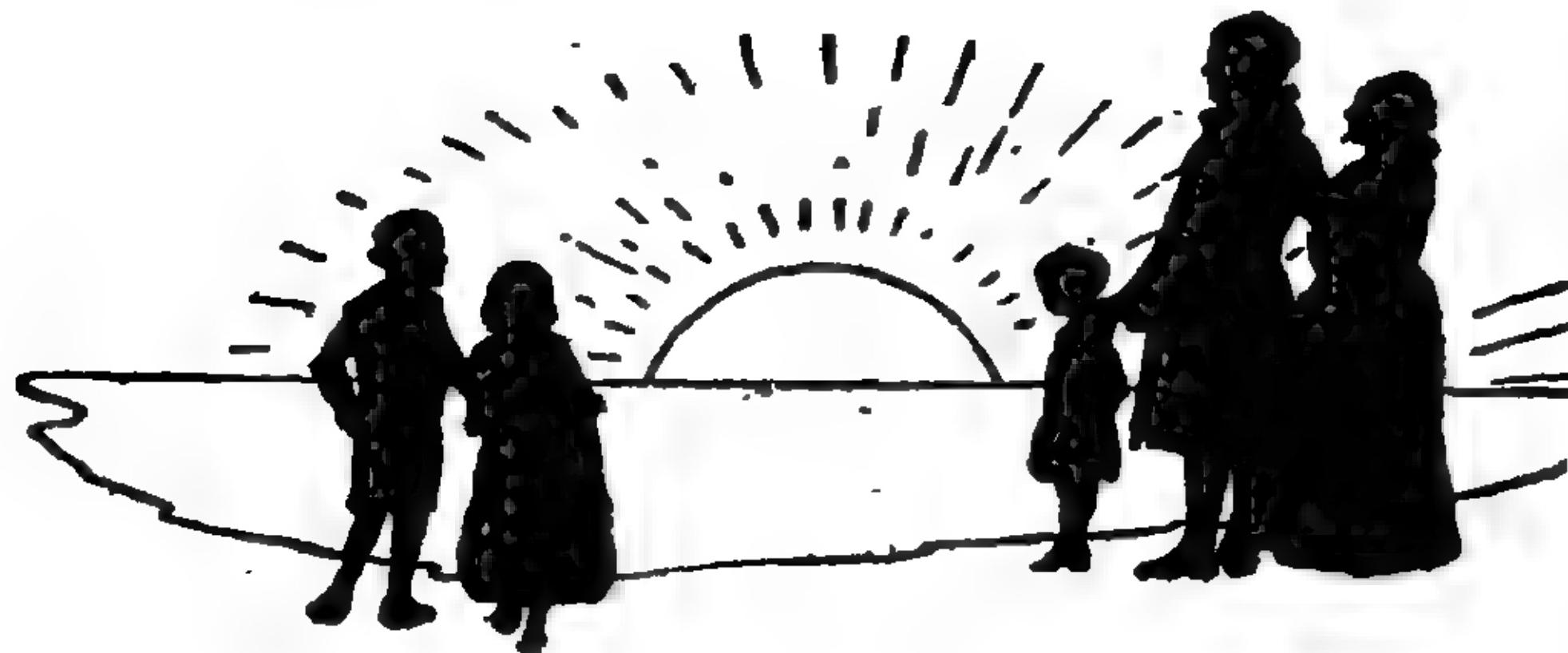
٠٠

هكذا عاد إلى ثمن الجوهرة الثمينة . . . ولكننا
(أنا وزوجتي جريس) قررنا أن نتبرع بكل هذه الأموال
إلى الفقراء . . .



وفي كثير من الأحيان كنا نخرج - أنا وجريس -
للتتراء في غابة «مانور» .. ونصحب معنا أولادنا
جون الصغير .. وجريس المصغيرة .. والزفير
الصغير ..

وهناك نتسع دائماً بمنظر الشيس الغارية ..
وهي تلقى انوارها الذهبية فوق قم التلال .. بينما
تقدمة تباشير الليل بخطوات صامتة .. ولا صوت يسمع
هناك سوى صوت البحر وهدير أمواجه ..



الفهرس

الصفحة

الفصل الأول : قرية من فليت	٧
الفصل الثاني : المون يتحركون	١٩
الفصل الثالث : تحت الأرض	٢٧
الفصل الرابع : المخازن السرية للمهربين	٣٣
الفصل الخامس : سجين داخل القبر	٤٩
الفصل السادس : في حانة « هوائى نوت »	٥٩
الفصل السابع : سقوط الدبوس	٦٧

الصفحة

- الفصل الثامن : شخص يتصنت بالباب** ٧٧
- الفصل التاسع : جريس ماسكيو** ٨٥
- الفصل العاشر : القبض على ماسكيو** ٨٩
- الفصل الحادى عشر : مصرع ماسكيو** ٩٧
- الفصل الثاني عشر : تسلق الطريق الخطير** ١٠٩
- الفصل الثالث عشر : الكهف** ١٢١
- الفصل الرابع عشر : الشفاء** ١٢٩
- الفصل الخامس عشر : سأنتظرك حتى تعود** ١٤٥
- الفصل السادس عشر : في القلعة** ١٥٩
- الفصل السابع عشر : المنزول الى البير** ١٦٩
- الفصل الثامن عشر : ضياع الجوهرة** ١٨٣

الصفحة

١٩٧ الفصل التاسع عشر : السجن

٢٠١ الفصل العشرون : العاصفة

الفصل الحادى والعشرون : المعادة الى موز .

٢١٣ فليت

٢٢١ الفصل الثانى والعشرون : النهاية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع ٩٩/١١٣٦٧

I.S.B.N-----

977 - 01- 6394 -5

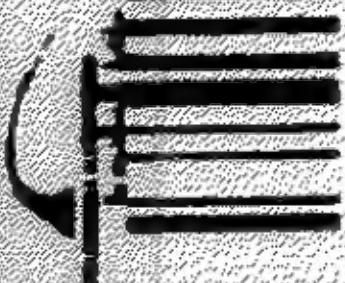


هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» .. ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافي كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافي الضخم حتى أصبح مشروعهم الخاص، وطأبوا باستمراره طوال العام. واستجبنا لهذا الطلب الجماهيري العزيز إيماناً منا بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقه التي يحتويها؛ في إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها الحضاري العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة».. أن تعيد الكتاب مصدراً هاماً وخالداً للثقافة في زمن التكنولوجيا المعاصرة..وها نحن نحتفل ببدءاً من عمر هذه المكتبة التي أصدرت (١٧٠٠) عنوان «٣٠ مليون نسخة» تحتضنها الأسرة المصرية وعمق ولها زاداً وتراثاً لا يبلى من أجل حياة الأمة.. ومازالت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة في

سوزار مبار

Biblioteca
Universitaria



مكتبة
الجامعة
للتاريخ
جمعية الرعاية للتنمية

١٠٠ قرنس

مكتبة الأسرة

مكتبة الأسرة للطباعة